رواية سحر خليفة "الميراث" ورواية أيلين جانغ "المرأة الممتعضة" – دراسة تحليلية مقارنة على ضوء الحركة النسوية في الحقبة ما بعد الكولونيالية

إعداد
هوانغ يوه شيه

المشرف
الأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع.....التاريخ...٢٠/١٢/٢٠١٠

كانون الأول، ٢٠١٠

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/الأطروحة (رواية سحر خليفة "الميراث" ورواية أيلين جانغ "المرأة الممتعضة"- دراسة تحليلية مقارنة على ضوء الحركة النسوية في الحقبة ما بعد الكولونيالية) وأجيزت بتاريخ ٢٠١٠/١٢/٦

أعضاء لجنة المناقشـــــــــــة

التوقيـــــــــــــع

الدكتور إبراهيم عبد الرحيم السعافين، مشرفا
أستاذ – الأدب الحديث والنقد

الدكتور شكري عزيز الماضي، عضوا
أستاذ – نقد روائي حديث

الدكتور سمير بدوان قطامي، عضوا
أستاذ مشارك – الأدب الحديث

الدكتور سامح عبد العزيز الرواشدة، عضوا
أستاذ مشارك – الأدب الحديث والنقد (جامعة مؤتة)

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالـــة
التوقيع.....التاريخ.....

الشكر والتقدير

أتقدم بالشكر الخالص للأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين الذي أظهر كل اللطف والصبر والإخلاص في قراءة الرسالة وتقويم ما أعوج منها، فكان خير موجّه، فله مني جزيل الشكر.

وأشكر أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور شكري الماضي

الدكتور سمير قطامي

الأستاذ الدكتور سامح الرواشدة

وأشكر الذين ساعدوني في إنجاز هذا العمل.

الباحث

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الشكر والتقدير	ج
فهرس المحتويات	د
قائمة الجداول	هـ
الملخص باللغة العربية	و
المقدمة	١
التمهيد	٤
الفصل الأول: تطور نسوية ما بعد الكولونيالية ومدخل إلى نظريتها	٩
أولاً: مفهوم نظرية ما بعد الكولونيالية	١٠
ثانياً: تطور نسوية ما بعد الكولونيالية ومحتويات نظريتها	١٦
ثالثاً: الحركة النسوية في العالم الثالث: فلسطين والصين نموذجاً	٢٦
الفصل الثاني: الأفكار النسوية عند سحر خليفة وأيلين جانغ	٣٥
أولا: مسيرة سحر خليفة وأيلين جانغ الحياتية وتأثيرها على تكوين أفكارهما النسوية	٣٦
ثانيا: حالة فلسطين والصين العصرية في ذلك الحين وتأثيرها في تكوين أفكارهما النسوية	٤٦
ثالثا: بيان التشابه والاختلاف في المؤثرات في تكوين أفكار سحر وأيلين النسوية	٥٧
الفصل الثالث: اتجاهات نسوية ما بعد الكولونيالية في رواية سحر خليفة "الميراث" ورواية أيلين جانغ "المرأة الممتعضة"	٦٠
أولاً: قضايا المرأة في رواية سحر خليفة "الميراث" ورواية أيلين جانغ "المرأة الممتعضة"	٦١
ثانياً: صورة المرأة في رواية سحر خليفة "الميراث" ورواية أيلين جانغ "المرأة الممتعضة"	٧١
ثالثاً: وجوه الشبه في القضايا الفنية بين الروايتين: في الزمن والمكان والسرد	٨١
الخاتمة	٨٩
المصادر والمراجع	٩١
الملخص باللغة الإنجليزية	٩٩

قائمة الجداول

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
١	مسيرة سحر خليفة الحياتية	٣٦
٢	مسيرة أيلين جانغ الحياتية	٤٢
٣	حالة فلسطين السياسية المعاصرة (الضفة الغربية وقطاع غزة نموذجاً)	٤٦
٤	حالة الصين السياسية المعاصرة (شانغ هاي وهونغ كونغ نموذجاً)	٥٢

رواية سحر خليفة "الميراث" ورواية أيلين جانغ "المرأة الممتعضة"
دراسة تحليلية مقارنة على ضوء الحركة النسوية في الحقبة ما بعد الكولونيالية

إعـــداد

هوانغ يوه شيه

المشـــرف

الأستـــاذ الدكتور إبراهيم السعافين

الملـــخص

تهتمّ هذه الرسالة بتحليل روايتين وهما "الميراث" للكاتبة الفلسطينية سحر خليفة و"المـــرأة الممتعضة" للكاتبة الصينية أيلين جانغ اللتين تعبران عن النسوية وقضايا المرأة التي تبرز فـــي أعمالهما دائماً. فقد حاولت الباحثة تحليل هاتين الروايتين من نظرية نسوية ما بعد الكولونياليـــة لاكتشاف اتجاهاتهما النسوية المميزة، ولتقارن بينهما من خلال الدراسة التحليلية علـــى أســـاس نسوية ما بعد الكولونيالية.

وقد قامت هذه الدراسة بتقسيم الرسالة إلى تمهيد، وثلاثة فصول. فـــي التمهيـــد، قـــدمت خلاصة للحركة النسوية وأنواع النقد النسوي الرئيسية لتوضيح النظرية النسوية بـــشكل عـــام. وتبعه الفصل الأول حيث كشف عن المحتويات الرئيسية في نظرية نسوية ما بعد الكولونيالية.

أما الفصل الثاني فهو تحليل لمسيرة الكاتبتين وأثر الحالة العصرية في أفكارهما النسوية. ويبيّن الفصل الثالث أفكار الكاتبتين نسوية ما بعد الكولونيالية من خلال تحليل قـــضايا المـــرأة وصورة المرأة والقضايا الفنية في روايتيهما.

المقدمة

بعد أن ظهرت الحركة النسوية واشتدت في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، أثارت صدى لها في أنحاء العالم. على أن الأمر كان مختلفاً فيما يتصل بنساء العالم الثالث، اللواتي خضعن وقتها لضغوط الثقافة التقليدية والظروف الاجتماعية والسياسية، فقد اختارت معظمهن التزام الصمت. وكانت كل من الكاتبة سحر خليفة والكاتبة أيلين جانغ أبرز النساء اللواتي كان لهن مواقف جريئة في هذا الصدد، فقد اتخذت كل واحدة منهما من أعمالها الروائية أداة للتعبير عن رفض الواقع، والثورة على ما تتعرض له المرأة من اضطهاد وتهميش من خلال كتابتهما. بسبب ذلك، قد اختارت الباحثة هاتين الكاتبتين وروايتيهما لتقارن بينهما من خلال الدراسة التحليلية على أساس نسوية ما بعد الكولونيالية.

وتتناول هذه الدراسة إلى البحث في تجليات النسوية في رواية سحر خليفة "الميراث" ورواية أيلين جانغ "المرأة الممتعضة"، كاشفة عن ردود الفعل التي تبديها المرأة تجاه ما تتعرض له من قمع وتهميش، ومن مشكلات الدراسة:

ملاحظة الأفكار الرئيسية التي عبرت عنها سحر خليفة وأيلين جانغ في ضوء الأفكار التي تجلت في اتجاهات النسوية المختلفة، وبيان الأساليب التي تبنتاها للتعبير عن هذه الأفكار تعبيراً فنياً في روايتيهما، وإلى أي اتجاه من اتجاهات النسوية تميل رؤية سحر وأيلين وأفكارهما وخياراتهما.

وتقوم أهمية هذه الدراسة على إقامة علاقة ثلاثية بين "النسوية" و"ما بعد الكولونيالية" و"رواية سحر خليفة (الميراث) ورواية أيلين جانغ (المرأة الممتعضة)"؛ إذ إن موضوعي "النسوية" و"ما بعد الكولونيالية" يمثلان الإضاءة لدراسة "رواية سحر خليفة (الميراث) ورواية أيلين جانغ (المرأة الممتعضة)" من هذا الجانب، وتهدف هذه الدراسة:

أولا: دراسة الأدب من خلال حقول معرفية مختلفة مستعينة بالنقد الثقافي، الذي يضم النسوية تحت مظلته الواسعة. أما نسوية ما بعد الكولونيالية فهي تختصّ بالعالم الثالث الذي يبدو على الهامش، مما يجعلنا حراصاً على أن نضع الكاتبتين في موضعهما الصحيح بوصفهما كاتبتين روائيتين تجلت في أعمالهما صورة النسوية في العالم الثالث على نحو واضح.

ثانياً: كشف أفكار سحر خليفة وأيلين جانغ ومضامين روايتيهما في سياق النسوية؛ فالدراسات السابقة تناولت روايات سحر خليفة وأيلين جانغ تناولاً تقليدياً سواء أكان من

ناحية الشكل الروائي أم من ناحية المضمون. لذا فإن الكشف عن أفكار الكاتبتين و الهيكل المعرفي لروايتيهما أمر في غاية الأهمية.

ثالثاً: دراسة العناصر الفنية على ضوء التشابهات في كلا العملين.

رابعاً: تجسير العلاقة بين الصين وفلسطين وبين الأدب والعلوم الإنسانية المختلفة.

أما المنهج الذي نهجته الباحثة فهو المنهج التاريخي والمنهج المقارن. انتفعت الدراسة بالمنهج التاريخي في عرض خلفية مظاهر نسوية ما بعد الكولونيالية ترتيباً بتاريخها وأسباب نشأتها ومؤثرات المفكّرين في تكوينها بما يفيد توضيح نظريتها التي ستكون تطبيقاً على رواية سحر خليفة "الميراث" ورواية أيلين جانغ "المرأة الممتعضة". كما التزمت المنهج التاريخي بالترتيب والتقديم لمسيرتي الكاتبتين الحياتيتين اللتين قد تؤثران في أفكارهما لاحقاً.

إلى ذلك تحتاج الدراسة إلى المنهج المقارن للعلاقة الجدلية بين النظرية والتطبيق في البحث عن التشابه بين أفكار سحر خليفة المتعلقة بنسوية ما بعد الكولونيالية في روايتها "الميراث" وأفكار أيلين جانغ في روايتها "المرأة الممتعضة"، من ثمّ تبيّن أوجه الاختلاف بين الروايتين وأسبابه.

وهذه الدراسة موزعة على النحو التالي:

التمهيد: يتضمّن حديثاً عن الحركة النسوية وما يحيط بها من مفاهيم يحتاج إليها هذا البحث.

الفصل الأول: "تطور نسوية ما بعد الكولونيالية ومدخل إلى نظريتها"، حيث كشف عن المحتويات الرئيسية في نظرية نسوية ما بعد الكولونيالية. ويقسم هذا الفصل إلى المحاور التالية:

أولاً: مفهوم نظرية ما بعد الكولونيالية.

ثانياً: تطور نسوية ما بعد الكولونيالية ومحتويات نظريتها.

ثالثاً: الحركة النسوية في العالم الثالث: فلسطين والصين نموذجاً.

الفصل الثاني: "الأفكار النسوية عند سحر خليفة وأيلين جانغ"، وهو تحليل لمسيرة الكاتبتين وأثر الحالة العصرية في تكوين أفكارهما النسوية. ويقسم إلى المحاور التالية:

أولا: مسيرة سحر خليفة وأيلين جانغ الحياتية وتأثيرها على تكوين أفكارهما النسوية.

ثانيا: حالة فلسطين والصين العصرية في ذلك الحين وتأثيرها في تكوين أفكارهما النسوية.

ثالثا: بيان التشابه والاختلاف بين المؤثرات في تكوين أفكار سحر وأيلين النسوية.

الفصل الثالث: "الاتجاهات النسوية ما بعد الكولونيالية في رواية سحر خليفة (الميـــراث) ورواية أيلين جانغ (المرأة الممتعضة)"، يبيّن أفكار الكاتبتين نسوية ما بعد الكولونيالية من خلال تحليل روايتيهما. ويقسم إلى المحاور التالية:

أولاً: قضايا المرأة في رواية سحر خليفة "الميراث" ورواية أيلين جانغ "المرأة الممتعضة".

ثانياً: صورة المرأة في رواية سحر خليفة "الميـــراث" وروايـــة أيلـــين جـــانغ "المـــرأة الممتعضة".

ثالثاً: وجوه الشبه في القضايا الفنية بين الروايتين: في الزمن والمكان والسرد.

التمهيد

قبل الحديث عن النقد النسوي في مرحلة ما بعد الكولونيالية، ينبغي أن نحدد مصطلح "النقد النسوي"؛ فليس للنقد النسوي مفهوم محدد واحد، بل له تعريفات متعددة بسبب تكوينه التاريخي والمؤثرات النظرية الفكرية المتنوعة. وتاليا محاولة لتأصيل مصطلح النسوي وبيان فروعه، لتوضيح خصوصيات النسوية فيما بعد الكولونيالية. وسندرس النقد النسوي من ثلاثة أوجه: مراحل تكوين النقد النسوي، والسياق المكاني، وأنواع النقد النسوي المختلفة.

١ – مراحل تكوين النقد النسوي:

عند الحديث عن النقد النسوي لا بد أن نبدأ من الحركة النسوية، ويمكننا أن نقسّم الحركة النسوية إلى ثلاث مراحل كما يلي: المرحلة الأولى هي "النسوية الليبرالية" التي تهتم بحقوق المساواة في الاشتراك في منظومة المجتمع الثابت وتفكّر في قضايا نسائية عامة. أما المرحلة الثانية فهي "النسوية الراديكالية"، التي تتحدث عن الإيجابيات التي تتصف بها المرأة أصلاً، ورغبتها في تغيير نظام المجتمع البطريركي، وتؤسس المجتمع الذي يمكن أن تعيش فيه دون تأثير الرجل عليها. والمرحلة الثالثة هي "النسوية المعاصرة" التي تتشكل في مرحلة ما بعد الحداثة، وتهتم بكسر ثنائية الرجل والمرأة وتهدف إلى تأسيس المجتمع الذي يقوم على المساواة بين الجنسين.[١]

وقد بدأت الحركة الأولى في الثمانينيات من القرن التاسع عشر وامتدّت إلى العشرينيات من القرن العشرين متأثرة بالثورة الفرنسية والتحرّر من العبودية في أمريكا، كانت تهدف مكافحة المرأة إلى الحصول على حقوق المساواة مع الرجل في العمل والسياسة والتعليم الخ.. وقد بدأت في فرنسا أولا من ثم انتقلت إلى بريطانيا وأمريكا. أما الحركة الثانية فقد امتدت من الستينيات إلى السبعينيات من القرن العشرين، وظهرت في أمريكا في ظل الحالة السياسية وحركة الحقوق المدنية والحركة ضد حرب فيتنام، وكان هدفها محو الاختلافات بين الجنسين. وترى أن اضطهاد المرأة يكمن في شكل تنظيم المجتمع تحت النظام البطريركي الذي يقوم على أفضلية الرجل. فحل مشاكل المرأة يكمن في هدم النظام البطريركي وإحلال نظام يساوي بين الناس بغض النظر عن جنسهم. وقد تطورت الحركة الثالثة في الثمانينيات إلى التسعينيات في القرن العشرين؛ إذ اهتمت باكتشاف الحقوق النسائية الإنسانية عموماً. وقد ازدهرت المذاهب

---

[١]- Julia Kristeva (1995), "**Women's Time**", **New Maladies of the Soul**, New York: Columbia University Press, p.207-208.

النسوية المتنوعة في ذلك الوقت وانسجمت مع نظرية ما بعد الحداثة الخاصة، لكن اتجهاتها نحو محو وقائع اللامساواة التي تكون في المركز الذكوري هي القصد الموحّد.

ويمكننا أن ننظر إلى النقد النسوي بوصفه صدى للحركة النسوية، وقد تطوّر على ثلاث مراحل أيضاً: الأولى تهاجم التمييز الجنسي عند الرجل وظهور التقليل من دور المرأة في العمل الأدبي. ومن الأمثلة على الكتب المتعلقة بهذا الموضوع "A Vindication of the Rights of Woman (1792)" لـــ Mary Wollstonecraft و"A Room of One's Own (1929)" لـــ Virginia Woolf، الأولى تفسّر حقوق المرأة كحق إنساني في ذاته، والأخرى تدعو إلى استقلال الأدب النسوي في مجال الاقتصاد والفن، وخصوصية الكتابة النسوية وضرورة تسجيل حياة المرأة. أما المرحلة الثانية فاهتمت بالكاتبات وأعمالهن، وتحليل بنية الحبكة النسائية فيما يجعل الأدب النسوي مجالاً خاصاً للبحوث. وبدأ الاهتمام بالكاتبات من النساء والاهتمام بدراسة أعمالهن. وقد نشرت الكثير من الأبحاث عن المرأة مثل "السياسات الجنسية Sexual Politics (1970)" لـــ Kate Millet و"الجنس الآخر The Second Sex (1949)" لـــ Simone de Beauvoir.

وفي ثمانينيات القرن العشرين، امتزجت أفكار النسوية بأفكار ما بعد الحداثة أكثر؛ فبدأت المرحلة الثالثة للنقد النسوي وهي مرحلة تشكيل النظرية. وقد قسمت إيلين شوالتر Elaine Showalter في كتابها المشهور "أدبهن A Literature of Their Own (1977)" وهي إحدى الرائدات النسويات، تطوّر الأدب النسوي إلى ثلاثة أقسام هي: المحاكاة للأدب الرئيسي ومقاومة معيار الأدب التقليدي وطالبت بتأكيد قيم الذات وحقوق النفس. وقد وضحت في كتابها "Feminist Criticism in the Wilderness (1981)" أن هناك أربعة أبعاد في بحوث الأدب النسوي وهي: الفسيولوجي، واللغوي، والتحليل النفسي والثقافي[١]. أما الناقدات المؤثرات الفرنسيات؛ فهن Helen Cixous وLucy Irigaray وJulia Kristeva اللواتي قد بدأن من علم التحليل النفسي لفرويد ولاكان والتفكيكية لدريدا. وبحثن عن الأشكال اللغوية النسوية من المحور النفسي والفسيولوجي والرغبات. وقد طرحت Helen Cixous رؤيتها "ecriture feminie"[٢] الكتابة الأنثوية، وتعتقد أن الجسد هو المكان الذي يكون فيه اضطهاد المرأة، والكتابة عنه ستحرّر جسدها المضطهَد وتفجر رغبتها في العقل الباطن. وقد تأثر النقد النسوي في تلك المرحلة بنظريات ما بعد الحداثة، فتفرّع وتنوّع.

---

[١]– سارة جامبل، ترجمة أحمد الشامي (٢٠٠٢)، **النسوية وما بعد النسوية**، ط١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ص٤٧٨.

[٢]– المرجع السابق، ص٣٢٣ – ٣٢٤.

٢- النقد النسوي في السياق المكاني

ظهر النقد النسوي في ثلاث مناطق رئيسية هي أمريكا، وبريطانيا وفرنسا. ولم تكن التوجهات الفكرية لهذه المناطق مستقلة تماماً على الرغم من تفرد كل منها باهتمام محدد في النقد النسوي، فلا نستطيع أن ننسب فكرتها إلى أصل واحد؛ فالنقد النسوي الأمريكي يهتم بتحليل النصوص، ويهتم النقد النسوي البريطاني بالوجه الثقافي بسبب تقليده اليساري الذي يبرز النسوي الماركسي والنسوي الاشتراكي. أما النقد النسوي الفرنسي؛ فيهتم بتشكيل النظرية بسبب مؤثرات علم التحليل النفسي، وعلم اللغة والتفكيكية. كما تقول Elaine Showalter: "النقد النسوي البريطاني هو ماركسي يهتم بالاضطهاد، والنقد النسوي الفرنسي هو تحليل نفسي يهتم بالكبت، أما النقد النسوي الأمريكي فهو تحليل النصوص يهتم بالتعبير"[١].

ويبدأ النقد النسوي الأمريكي من موقف الإنسانية والتجريبية مما يجعله مهتماً بتحليل النصوص لكي يُظهر التمييز الجنسي الذي يكمن في مجال الإبداع والنقد، ويسعى إلى كشف تقاليد الأدب النسوي ونشأة مبادئه النقدية. أما النقد النسوي الفرنسي فقد ازدهر في الحركة الاجتماعية والسياسية في الستينيات من القرن العشرين، وتقوم نظريته على علم التحليل النفسي وعلم اللغة والفلسفة التفكيكية. ويرتبط النقد النسوي الفرنسي بتاريخ اضطهاد المرأة والمشاكل اللغوية، كما يرى أن العقبة التي تقف في وجه كتابة المرأة ناتجة عن كبت الرغبة كما يشدد حالته ويسعى إلى هدمه في المجال اللغوي. وتطرح Julia Kristeva نظرتها "الخطاب السيميائيsemiotic discourse" وتطرح Helen Cixous نظرتها "الكتابة الأنثوية ecriture feminie" اعتقادا أن هناك مجالاً لإنتاج النصوص التي يمكن أن تسمى "أنثوياً" ولكنه مستتر تحت سطح الخطاب المذكر، وتفترض بأن المرأة تُعطى هوية معينة في إطار الأبنية الذكورية للغة والسلطة, وأنها يجب أن تسعى للتصدي لهذه الهوية المفروضة[٢]. ويقترب النقد النسوي البريطاني من النقد النسوي الأمريكي، لكنه متأثر بالطبقة الماركسية أكثر، ويأخذ بعض نظرات علم التحليل النفسي الفرنسي في المرحلة المتأخرة.

على الرغم من أن ميزات النقد النسوي مختلفة في هذه المناطق الثلاث، فقد اكتسبت كلها من أفكار الأعمال النسوية المبكّرة مثل " The Second Sex (1949) " و" A Room of One's Own (1929)" إلخ.. يأخذ التمييز الذي يواجه المرأة في الإبداع الأدبي والمجال النقدي البعد

---

[١]- Elaine Showalter (1985), **Feminist Criticism in the Wilderness**, in **The New Feminist Criticism: Essays on Women, Literature and Theory**, New York: Pantheon Books, pp.243-70, p.248.

[٢]- سارة جامبل، ترجمة أحمد الشامي (٢٠٠٢)، **النسوية وما بعد النسوية**،ط١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ص٣٢٣-٣٢٤.

الأساسي للنقد، ويهدف إلى تغيير الثقافة المليئة بالاضطهاد الجنسي حتى يتغير المجتمع غير المتساوي.

٣- أنواع النقد النسوي

أ- النقد النسوي الاشتراكي

ظهر هذا النوع في السبعينيات من القرن العشرين، ويتمحور حول قضية اللامساواة بين الجنسين الناتجة عن نظرة المجتمع الرأسمالي، والأعمال للمرأة بأجر أو بغير أجر؛ إذ يعتقد أن المرأة من إحدى الطبقات وأصل اضطهادها يكون في نظام الملكية الخاصة. فيؤيد أن ترتبط النسوية بالنضال الطبقي، كما يرى أن اللامساواة بين الجنسين تبدأ من اللامساواة في النظام الاقتصادي، لا يمكن حلّ المشاكل الجنسية إذا ما حُلّت المشاكل الاقتصادية أولا. فيجب أن تُغيّر بنية المجتمع كلياً للوصول إلى المساواة الحقيقية بين المرأة والرجل. ويهتم النقد النسوي الاشتراكي بدراسة طرق وصف المرأة في أعمال أدبية مما يزيد من فعالية المرأة في المجتمع.[١]

ب – النقد النسوي الماركسي

تقوم الماركسية بوصفها نظرية للتحرر على أفكار كثيرة بخصوص قمع المرأة، وترى أن التقسيم الطبقي هو أصل القمع الذي تتعرّض له المرأة.[٢] ترى النسوية الماركسية أن اضطهاد المرأة متجذر في البنية الاقتصادية لنظام الملكية الخاصة، ويشبه اضطهاد المرأة الاستغلال الرأسمالي للعمال. ولا يمكن أن تصلح مكانة المرأة إلا بعد إلغاء النظام الاقتصادي الرأسمالي والملكية الخاصة. إن الماركسية تركّز في الإنتاج وتؤكد أن الأعمال الأسرية هي خارج الإنتاج في المجتمع الرأسمالي. بالإضافة إلى هذا، تهتم النسوية الماركسية بنفوذ المرأة في تكوين التاريخ ودوافعها لتغيير المجتمع.

ج – النقد النسوي المهتم بالتحليل النفسي

تطوّر هذا النقد في التسعينيات من القرن العشرين، بناءً على علم النفس النسوي الذي بدأ في السبعينيات. يرى أن علم النفس الرئيسي يتأصل في الثقافة الرئيسية الغربية وهي الثقافة البطريركية. يتابع تقليد البحث الوضعي، يتجاهل ويهمّش التجربة الأنثوية مما ينعكس على التحامل المركزي الذكوري في دراسة علم النفس. فيدعو النقد النسوي المهتم بالتحليل النفسي إلى أخذ الموقف النسوي لكي يشرح ويقيس المنهج النفسي الرئيسي الذي يتأثر بالبطريركية من

---

[١]- سارة جامبل، ترجمة أحمد الشامي (٢٠٠٢)، **النسوية وما بعد النسوية**، ط١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ص٤٨٢ – ٤٨٣.

[٢]- المرجع السابق، ص ٤٠٣.

جديد، ويركز على انتقاد المعايير الذكورية التي يعبّر عنها بالعلم النفسي الرئيسي، في محاولة لتأسيس السياق النسوي الخاص.

وقد اقتبس هذا النقد نظرية فرويد ولاكان بوصفها –أمثلة سلبية– ويشدد على أن الخصوصية الأنثوية ليست محدودة بالمعيار الذكوري، ويدعو إلى كشف التعبير الجنسي الأنثوي في العمل الأدبي من البعد التجريبي الجسدي الأنثوي لكي يكتشف حالة كبت رغبات المرأة.

د– النقد النسوي المهتم بالبيئة

ظهر هذا المفهوم في كتاب فرانسواز دوبون Francoise deEaubonne في "النسوية أو الموت" Feminism or Death (1974) أولاً[١]. ويقوم على وجود روابط مهمة بين السيطرة على النساء والسيطرة على الطبيعة، ويقوم كذلك على أن فهم هذه الروابط ضروري للاتجاه النسوي ومذهب الحفاظ على البيئة والفلسفة البيئية. والغرض من وجود التيار النسوي المهتم بالبيئة هو إبراز وجود السيطرة المزدوجة على المرأة والطبيعة وتوضيح طرق هذه السيطرة، وإجراء التحليلات والممارسات الصحيحة متى كان ذلك ضرورياً. ويمكن أن نتصور أن النسوية المهتمة بالبيئة نبعت من التقاء النسوية والعلم / التكنولوجيا والاهتمامات البيئية.[٢]

هـــ – ما بعد النسوية

تتفاوت تعريفات هذا المصطلح تفاوتاً كبيراً، ويمكن تصنيفها في نوعين: الأول من بعض التيارات النسوية التي ترى أن ما بعد النسوية نوع من المشاركة في خطاب ما بعد الحداثة؛ فكلاهما يدعو إلى خلخلة التعريفات الثابتة للنوع (كون الإنسان ذكراً أو أنثى) وإلى تفكيك النماذج والممارسات الاستبدادية [٣]. أما النوع الثاني فيفضّل استخدام هذا المصطلح للإشارة إلى النسويات التي تهاجم النسوية الحالية، وتعتقد أنها ليست قادرة على التعامل مع هموم المرأة وخبراتها اليومية، والمبالغة في قضية اللامساواة بين الجنسين وتعلقها بالسياسة أكثر من اللازم. فتسعى إلى حلّ مشكلة اللامساواة بالطرق التي تؤدي إلى الانسجام بين الجنسين بدلاً من الضدّية.

---

[١] – سارة جامبل، ترجمة أحمد الشامي (٢٠٠٢)، **النسوية وما بعد النسوية**، ط١، القاهرة: المجلس الأعلـــى للثقافة، ص٣٢٣.

[٢] – المرجع السابق.

[٣] – المرجع السابق، ص٤٥٠.

الفصل الأول

تطور نسوية ما بعد الكولونيالية ومدخل إلى نظريتها

بدأت الحركة النسوية ومرحلتها المتصلة بالسياسة في الستينيات من القرن العشرين، من ثم مرحلة تأسيس نظريتها في السبعينيات والثمانينيات. إذ تطورت ونجحت في تكوين نقدها الخاص لقضايا المجتمع وللقضايا الأدبية على حد سواء. ومن المتوقع أن هموم النسوية حول تهديم المركزية الذكورية وتدمير الثنائية التعارضية سيجعلها تعيد فحص نفسها من جديد، وتقدّم الجو التشجيعي لازدهار الخطاب المتنوع بسبب الطرق التدميرية التي تأخذها. سواء أحبت النسوية الرئيسية هذه "الأصوات" أم لا، هكذا هو الاتّجاه الذي تتّجه إليه النسوية. إن "النسويات" (feminisms) قد أصبحت مفهوماً عاماً على الرغم من الجدل الموجود بين مذاهبها المختلفة.

أما نسوية ما بعد الكولونيالية؛ فظهرت في تراثنا الحالي، وتهتم خاصة بنساء العالم الثالث. غير أنها ليست من المذاهب النسوية الرئيسية وهي ما تزال في بداياتها مقارنة بالنسويات الأخرى، وما تزال الدراسات فيها قليلة. ولذلك، نحاول في هذا الفصل بيان نظرية نسوية ما بعد الكولونيالية من ثلاثة أوجه: مفهوم ما بعد الكولونيالية، تطور نسوية ما بعد الكولونيالية ومحتوياتها، وأخيراً الحركة النسوية في العالم الثالث.

أولاً: مفهوم ما بعد الكولونيالية

من الأفضل أن نبدأ البحث بالسؤال عن "متى؟ "، "أين؟"، "من" و"لماذا" بدلاً من السؤال "ما هذا؟"[١]

كما قال مورجلبرت في مقدّمة كتاب "نقد ما بعد الكولونيالية" (Postcolonial Criticism)، إن تعريف ما بعد الكولونيالية ليس أمراً سهلاً، بل يبقى محل جدل عند العلماء المختلفين الذين حاولوا أن يعرّفوه ابتداء من ظهوره حتى الآن.

بعد الحرب العالمية الثانية، لقد حصلت البلاد المستعمَرة على استقلالها السياسي شكلياً، لكنها لم تتخلّص من الحالة المستعمرة في السياق الثقافي والعالم الغربي. هذه الحالة هي ما يُعرف بمرحلة ما بعد الكولونيالية، لكنها لا تعني فترة ما بعد استقلال البلاد المستعمرة، بل يمكن أن نقول إن حقبة ما بعد الكولونيالية هي المرحلة التي تلت إخفاق الاشتراكية ونجاح النيوليبرالية، فقد خاب أمل الناس في بناء اليوطوبيا الذي يُعدُّ من وهم التحرير القومي، فينبغي أن يجد الطريق الجديد لتأسيس نظرية ما ضد الكولونيالية الجديدة. ونوضحها هنا من ثلاثة أبعاد هي: مراحل ما بعد الكولونيالية، توزيعها المكاني ومؤسّسو نظريتها من ثمّ خصوصياتها التي تؤثّر في النسوية وتتطابق معها.

---

[١] - Bart Moore Gilbert, Gareth Stanton and Willy Maley ed. (1997), **Postcolonial Criticism**, London and New York: Longman, p.2.

١- مراحل ما بعد الكولونيالية

إذا تتبعنا آثار ما بعد الكولونيالية فيمكن أن نقسّمها إلى ثلاث مراحل:

بدأت المرحلة الأولى في الخمسينيات من القرن العشرين، وقد نشر فرانز فانون Frantz Fanon (وهو طبيب نفسي وثوري في حركة تحرير الجزائر) كتابه "جلد أسود، قناع أبيض"(Black Skin, White Mask,١٩٥٢) بحثاً عن مسائل أزمة تعيين الهوية identification والاغتراب الاستعماري colonial alienation والضلال الثقافي الذي تواجهه البلد المستعمَرة تحت ظلّ الاستعمار الغربي المؤذي[١].ويراجع فانون طبّ النفس الأوروبي ثمّ يطبّقه على تحليل الأمراض الاجتماعية لدى السود، مما يفكّك الزيف والعنف في الإنسانية الغربية. كما يهتمّ فانون بوصف ألم المستعمَر والتحويل الذهني عند الأرض المستعمَرة، ويشرك الحركة الثورية للمقاومة الاستعمارية الفرنسية كما ينتقد القومية البرجوازية الأفريقية. وفانون أحد المؤسسين في دراسة ما بعد الكولونيالية ويصنف في صفّ المفكّرين العالميين. بالإضافة إلى فانون، ظهر ويليم دوبوئس W.E.B.Du Bois وأيمي ساسير Aime Cesaire وحركة الوعي الأسود Negritude في الثلاثينيات من القرن العشرين تأثيراً في المرحلة الأولى لدراسة ما بعد الكولونيالية أيضاً[٢].

أما المرحلة الثانية؛ فتُعيَّن بكتاب "الاستشراق" (Orientalism) الذي كتبه إدوارد سعيد Edward Said (وهو فلسطيني مغترب في أمريكا) في عام ١٩٧٨، مما يجلب الاهتمام والجدل حول قضية خطاب ما بعد الكولونيالية في الأكاديمية الشرقية والغربية. كان سعيد يقتبس من فكرة ميشيل فوكو Michel Foucault حول العلم والقوة ونظرية أنتونيو غرامشي Antonio Gramsci حول الهيمنة على الثقافة، ويهتم بالعلاقة التفاعلية بين الثقافة الغربية والثقافة الشرقية وخاصة حلّ الشفرة في هيكل الخطاب الاستعماري. وينتقد الخطاب الاستعماري ويحلله كأنه وسيلة لاستمرار الحكم الغربي للشرق، بإدخال ثقافتها للحصول على سيطرتها الثقافية. ويشارك إدوارد سعيد في عمليات سياسية ومحاضرات إعلامية أيضاً، وهو ناقد أدبي مرموق. وإلى جانب دور إدوارد سعيد كطليعة في مجال ما بعد الكولونيالية، ظهر نقد أمريكا- اللاتينية Latin-American criticism ودراسات أدب رابطة الشعوب البريطانية Commonwealth Literature Studies من الستينيات إلى السبعينيات من القرن العشرين كما تأثّر في المرحلة الثانية لتطوّر نظرية ما بعد الكولونيالية[٣].

---

[١]- See: Bart Moore Gilbert, Gareth Stanton and Willy Maley ed. (1997), **Postcolonial Criticism**, London and New York: Longman, p.12-15. Robert Young (2001), **Postcolonialism:an historical introduction**, Blackwell Publishing Ltd, p.283-292.

[٢]- Ibid., p.7-11.

[٣]- Ibid., p.16-21, 38-42.

والمرحلة الثالثة هي مرحلة النظريات الجدلية فيما بعد ثمانينيات القرن العشرين، تدخل فكرة ما بعد الكولونيالية إلى مجالات متعددة مثل علم الاجتماع والعلاقات الدولية والأدب المقارن وعلم الجمال والمسرحية والأفلام وعلم الإنسان الثقافي حتى الرياضة البدنية والحقوق الدولية إلخ، وقد ازدهرت نظرية ما بعد الكولونيالية ازدهاراً ملموساً تحت الظرف الجديد في هذه المرحلة.

٢- توزيع ما بعد الكولونيالية المكاني

وفقاً للتوزيع الجغرافي، فالمركز الذي تحاول ما بعد الكولونيالية أن تقاومه هو الإمبراطورية في التيار التاريخي والثقافي (مثل بريطانيا وفرنسا ودول استعمارية أوروبية أخرى) من جهة، وأمريكا المهيمنة على السياسة والاقتصاد في هذا العصر من جهة أخرى. فتتضمن ما بعد الكولونيالية الدول والمناطق التي تستعمَر في التاريخ ويُسيطر عليها بقوة أمريكا السياسية والاقتصادية. بسبب ذلك، تنطوي دراسة ما بعد الكولونيالية على أفريقيا كلاً والشرق الأوسط والهند وأمريكا اللاتينية (الدول الكاريبية) وجنوب شرق آسيا وإيرلندا (تحت تصنيف الاستعمار الداخلي)، كما تنطوي الأقليات التي تغترب في المدن الكبيرة metropolitan على ذوي الأصل الأفريقي والآسيوي والإسباني والهندي تحت تصنيف الشتات diaspora.[١]

أما من جهة التطوّر والارتباط العلمي، فتشترك ما بعد الكولونيالية مع ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية في الأفكار النقدية وإعادة البناء نحو البنية العلمية في المجال الأكاديمي كأنها المساحة الجدلية التي تكون في منطقة ما تحت النظام الاقتصادي العالمي والعلاقات الدولية التي أثرث وتعمّقت في ما بعد الكولونيالية بدراسات العالم الثالث التي بدأت من الخمسينيات إلى الستينيات في القرن العشرين، وتتضمن المواضيع المتنوعة مثل ما بعد الإمبراطورية ودراسة رابطة الشعوب البريطانية ودراسة ما بعد الأوروبية ودراسة المقاومة ودراسة خطاب الأقلية والعولمة والكولونيالية الجديدة وما عبر الثقافة إلخ. بالرغم من تمسك كل من هذه الدراسات بهيكلها وأسسها البحثية الخاصة، إلاّ أنّ هناك بؤرة واحدة بينها وبين ما بعد الكولونيالية وهي العلاقة التي توجد عبر الثقافات تحت النظام الاستعماري الأوروبي التقليدي القائم على اللامساواة. وتتعلّق هذه الدراسات (في العلاقة الثقافية) مع دراسة ضد العنصرية والدراسة الشتاتية والقومية والثقافية المتعددة والعالم الرابع [٢] وحقوق الإنسان إلخ.

---

[١]- See: Robert Young (2001), **Postcolonialism: an historical introduction**, Blackwell Publishing Ltd, p.59-70.

[٢]- أي: البلاد الآسيوية والإفريقية الأفقر. أنظر المرجع السابق، ص٦٢ – ٦١.

٣- مؤسسو نظرية ما بعد الكولونيالية

أ- إدوارد سعيد (١٩٣٥ - ٢٠٠٣)

يُعدّ إدوارد سعيد مؤسّساً مهماً لنظرية ما بعد الكولونيالية؛ فقد نشر كتابه الأول "الاستشراق" عام ١٩٧٨ اعتراضاً على الدراسة الغربية الرئيسية حول قضية الشرق الأوسط. وقد سبق إدوارد سعيد إلى هذا النقد وتحليل الخطاب الاستعماري بعض الحركات والعلماء والشعراء والثوريين، واستمد سعيد منهم بعض الأفكار وأسهموا في تطور مفهوم ما بعد الكولونيالية مثل حركة الوعي الأسود في فرنسا وحركة نهضة هارلم Harlem Renaissance في أمريكا[١].

يطبّق إدوارد سعيد بعض النظريات العلمية المعاصرة على الدراسات الاستعمارية والإنتاج الثقافي، ويعرض القضايا القومية والعنصرية على مناهج النقد العالمي المعاصر مما يُظهر المركزية الأوروبية التي تكوّن ما يعرف بالنظرية العالمية[٢]. ينتقد سعيد النظام العلمي الغربي منذ بداية دراسة الاستشراق، ولا يركّز كثيرا على محتويات هذه الدراسة بل على إجراءات كيفية تكوينها، أي يحاول إظهار الإجراءات التي تُفاعل القوة والعلم خلف دراسة الاستشراق، وكيف يسهم هذا النظام العلمي باستخدام القوة في إعادة الصيغ الثقافية والأدبية والجمالية حتى يدعم الهيمنة الغربية المتنوعة على العالم غير الغربي. وليست العلاقة بين الغرب والشرق هي محور الاهتمام بل "الخطاب الذي يتوسّط فيها" الذي يُسمّيه سعيد بالاستشراق. وفقاً لإدوارد سعيد، فإن الاستشراق هو الخطاب الذي يأخذه الغرب لبناء الشكل الشرقي التخيُّلي، مما يشكّل الشرق كـــ "الآخر" للغرب بناءً على الأفكار الثنائية التعارضية الغربية، وفيها يملك "الغرب" و"أوروبا" و"الأبيض" و"العالم الأول" الموقف الأفضل في هذه الثنائية التعارضية، ويتصف الشرقي بالصفات السلبية مثل "صامت" و"حسّي" و"أنثوي" و"استبدادي" و"غير عاقل" و"متخلف"، في حين نجد الغربي متصفاً بالصفات الإيجابية مثل "ذكوري" و"ديموقراطي" و"عاقل" و"أخلاقي" و"ديناميكي" و"متقدّم"[٣]. ويوضح سعيد في كتابه الاستشراق فكرته الرئيسية فيقول: "وما أطرحه هنا هو أننا ما لم نكتنه الاستشراق بوصفه خطابا

---

[١]- حركة ثقافية بدت في حي هارلم بنيويورك، كانت تعرف بحركة الأسود الجديدة تتمحور في تكوين هويـــة الأسود من جديد، وتأثيرها في بعض الكتّاب السود الأفريقيين الناطقيين باللغة الفرنسية أيضا. أنظر:
Robert Young (2001), **Postcolonialism: an historical introduction**, Blackwell Publishing Ltd, p.219-226.

[٢]- Bart Moore Gilbert, Gareth Stanton and Willy Maley ed. (1997), **Postcolonial Criticism**, London and New York: Longman, p.22.

[٣]- Bart Moore Gilbert, Gareth Stanton and Willy Maley ed. (1997), **Postcolonial Criticism**, London and New York: Longman, p.23.

فلن يكون في وسعنا أبداً أن نفهم الفرع المنظّم تنظيماً عالياً الذي استطاعت الثقافة الغربية عن طريقه أن تتدبّر الشرق – بل حتى أن تنتجه – سياسياً واجتماعياً وعسكرياً وعقائدياً وعلمياً وتخيلياً في مرحلة ما بعد التنوير. وبكلمات أخرى، فإن الشرق، بسبب الاستشراق، لم يكن (وليس) موضوعاً حرّاً للفكر أو الفعل"[١].

ب – هومي بابا Homi Bhabha (١٩٣٩)

يكوّن هومي بابا نظرته على أسس التفكيكية وعلم النفس اللاكانية، ويرى أن إدوارد سعيد في "الاستشراق" قد انتقد المركزية الأوروبية ولكنه لم يتخلّ عن أفكاره وهيكل خطابه من الصيغة الغربية وهي الثنائية التعارضية. ونظرية ما بعد الكولونيالية عند بابا ليست إنهاء السيطرة الاستعمارية فقط، بل العوامل الثقافية وطرق التفكير وتراتيب النفس العميقة التي ترعى الاستعمارية وغزو الإمبراطورية. بالمقارنة مع الثنائية حول "المستعمِر" و"المستعمَر"، كما يهتمّ بابا بكيفية إجراءات تعيين الهوية وإجراءات التعارض والتداول والتكامل والتخلل والتحويل التي ستكون في النفس ووراء نطاق الوعي عندما تتقابل الثقافة المستعمِرة والثقافة المستعمَرة.[٢]

يرى بابا أنه لا يمكن أن تتضمن الثنائية التعارضية علاقات بسيطة بين المستعمِر والمستعمَر، وخاصة الحالة الثقافية الدولية المعاصرة التي تكون معقدة وتتداول سريعاً. ولا يوافق أن يحلّل المظاهر والتطورات الثقافية بالعقيدة القومية أو المحلية لأنهما تضعان العالم الأول والعالم الثالث في بنية الثنائية التعارضية، كما يعارض عقيدة التعددية الثقافية multiculturalism التي تبشّر بها الأكاديمية الغربية لأنها تثبت وتجمّد الاختلافات بين الثقافات. ويحاول أن يتخلّص من الفكرة الضدية نحو الغرب/الشرق أو العالم الأول/العالم الثالث، ويطرح نظرته مثل "الهجنة" (hybridity) و"البين بين" (in-betweeness) و"التنكر البيني" (mimicry) لتحليل إجراءات التقابل والتعارض والتحويل الثقافية[٣].

ويعتقد بابا أن الهوية المحلّية لا تُحدّد تحديدا واضحاً، وتعيين الهوية عنده جدل لا نهاية له؛ ويراجع أعمال فانون السابقة مما يبيّن أن فانون قد عرف هذه الحالة جيداً. عندما ينتقد بابا كتاب فانون "جلد أسود، قناع أبيض" يقول: "تضطُرب صفوف الذوات الاستعمارية المألوفة – الأسود/الأبيض والذات/الآخر... وتتشتّت أسس العنصرية التقليدية التي تبنى إما على أسطورة

---

[١]- إدوارد سعيد، كمال أبوديب مترجم (١٩٨١)، **الاستشراق: المعرفة، السلطة، الانشاء**، مؤسسة الأبحاث العربية: بيروت، ص٣٩.

[٢]- See: Bart Moore Gilbert, Gareth Stanton and Willy Maley ed. (1997), **Postcolonial Criticism**, London and New York: Longman, p.33-35.

[٣]- Ibid.

حركة الوعي الأسود أو تفوّق ثقافة الأبيض"[١].

ويقتبس بابا نظرية لاكان Lacan فيرى أنه من غير الممكن تكوين الهوية إلا من خلال آليات mechanisms التبديل والتباين وإنكار أي نوع من الأصالة أو الوفرة النفسية، هذه الهوية متحرّكة غير جامدة. بسبب ذلك، يفضّل بابا البحث عن العناصر الديناميكية والمتحوّلة على الثنائية والعناصر الثابتة[٢].

ويبحث عن إمكانيات "المقاومة" resistance في الحالة الاستعمارية، اعتماداً على النظرية التفكيكية نحو الذات والقوة، كما يعتقد أن المقاومة قد تحدُث في المجال الهجين hybridity والبين بين in-betweeness عندما يتقابل المجتمعان من خلال التنكر البيني. والمحاكاة التغيرية تبدأ من المحاكاة، بحيث يستورد المستعمِر صيغته الثقافية والقيمية بقصد تقوية سيطرته على المستعمَر. وعلى العكس، فالمستعمَر لا يحاكيها فقط، بل يستولي عليها ويكوّنها من جديد. على الرغم من هذه الصيغة الثقافية والقيمية وأصلها المستعمِري إلا أنها تتغيّر من إجراءات محاكاة المستعمَر فتتكوّن وتوضح القوة مرة بعد مرة عندما تتقابل ثقافة ما مع ثقافة أخرى[٣].

٣- خصوصيات نظرية ما بعد الكولونيالية التي تؤثّر في النسوية وتتطابق معها

أ- محتويات شاسعة

لا تشير نظرية ما بعد الكولونيالية كما أسلفنا إلى فكرة صرفة مُطلقاً، فقد طُبِّقت على مجالات مختلفة تاريخياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو أدبياً. فهي تقدّم لنا أوجهاً متنوعة ومعقّدة بالمقارنة مع نظريات أخرى. وبطبيعة الحال، لا يمكن تعريفها بتحديد واحد لأنه قد يختلف في الطرق والأبعاد التي يأخذها في المجالات المختلفة. وهو السبب الذي لا يجعل من السهل تطبيق كل خصوصياتها على نظرية النسوية.

ب – ضد الثنائية التعارضية والدعوة إلى محو المركزية والجوهرية

إذا رجعنا إلى آراء مؤسسي ما بعد الكولونيالية (مثل إدوارد سعيد وهومي بابا)، لا بد أن نجد أن قصدهم ضد الثنائية التعارضية ويدعون إلى محو المركزية الجوهرية مع اختلافهم في الأفكار. كما نجد أنه مع مرور الزمن، لا بد أن يؤثّر العصر الماضي في العصر الحالي ويحاول العصر الحالي معارضة ذلك العصر مع بقائه تحت مؤثراته إلى حد ما. وفي الحقيقة؛

---

[١]- Homi K.Bhabha (1986), **Remembering Fanon**, Foreword to Frantz Fanon: Black Skin, White Mask, Pluto Press, 1986, p.ix,cited in Bart Moore Gilbert ed. (1997), **Postcolonial Criticism**, p.33-34.

[٢]- See: Bart Moore Gilbert, Gareth Stanton and Willy Maley ed. (1997), **Postcolonial Criticism**, London and New York: Longman, p.33-34.

[٣]- Homi K. Bhabha (1994), **The Location of Culture**, New York and London: Routledge, p.109.

قد تغيّرت فكرة الحداثة العقلانية والعلمية والقيمية بسبب صدمة العصر الجديد، مما ساعد في ظهور فكرة ما بعد الحداثة ومعارضتها. وكلمة "ما بعد" هي إيحاء لمعنى "معارضة ما سبق"، كما يتماثل الحال في ما بعد الكولونيالية؛ فهي محاولة لمعارضة الكولونيالية ومحو فكرتها الرئيسية التي يأخذها المستعمر كعقيدة لتسهيل سيطرته على المستعمَر وهي الثنائية التعارضية والمركزية والجوهرية. وتتطابق هذه الخصوصية مع نظرية النسوية تماماً.

جـــ – تعيين الهوية

يقول مورجلبرت في مقدّمة كتاب "نقد ما بعد الكولونيالية": "تدلّ كثرة نقد ما بعد الكولونيالية على اهتمامه بتعريف الذات"[١]. بغض النظر عن الطريق الذي يأخذه الوعي الأسود أو إدوارد سعيد أو هومي بابا، إن نظراتهم قد التفتّ حول تعريف الذات المستعمَري ومحورهم في تعيين الهوية[٢]. ومن الجدير بالذكر أن معظم علماء ما بعد الكولونيالية الذين يحتلّون المجال الأكاديمي في أمريكا وأوروبا هم الملوّنون من العالم الثالث فتجاربهم الذاتية قد تكون أفضل مثال لدعم نظراتهم من جهة، إلا أنهم قد يواجهون هجوم علماء القومية الذين يناظرونهم كنوع من المفكّرين الخائنين من جهة أخرى[٣]. مهما كان الاختلاف بين نظراتهم بسبب الاستراتيجية المختلفة، فإن المسألة الرئيسية هي تعريف الذات وأرض الوطن من أي زاوية وكيفية تجنّب تعاون العالم الأول في كتم أصوات العالم الثالث والبحث عن التوازن بين العولمة globalization والمحلية localization لكي تتبين هويتهم الخاصة. وقد تتعقد هذه الخصوصية في نظرية النسوية لأن معها قضية أخرى هي الجنس.

ثانياً: تطوّر نسوية ما بعد الكولونيالية ومحتوياتها

نكشف النقاب هنا عن الفكر الكامن في نسوية ما بعد الكولونيالية غير المتضمن في النسوية الرئيسية ونبحث عن محتوياتها بشكل أعمق وأدقّ.

١– النسوية السوداء الصوت الأول لتعيين هوية نساء العالم الثالث

عند الحديث عن نسوية ما بعد الكولونيالية لا بد من الحديث عن النسوية السوداء التي حازت على الصوت الأول لنساء العالم الثالث. وأوّل من عبّرت عن النسوية عند المرأة السوداء هي سوجورنز تروث Sojourner Truth بعد تحرّرها من الرقّ عندما ألقت خطاباً أسطورياً عام ١٨٥١ في مؤتمر حقوق المرأة في مدينة آكرون بولاية أوهايو، تساءلت فيه عن السبب في

---

[١]- Bart Moore Gilbert, Gareth Stanton and Willy Maley ed. (1997), **Postcolonial Criticism**, London and New York: Longman, p.1.

[٢]- Ibid., p.3, 7, 33.

[٣]- Robert Young (2001), **Postcolonialism:an historical introduction**, Blackwell Publishing Ltd, p.62.

إقصاء المرأة السوداء من النسوية. أما النصّ الأساسي في النسوية السوداء المعاصرة فهو كتاب بيل هوكس Bell Hooks "ألستُ امرأة؟" (١٩٨١) الذي استوحت عنوانه من خطاب تروث الشهير عن تهميش المرأة السوداء في إطار النسوية، وهو الموضوع الذي تعالجه هوكس في هذا الكتاب[١].

وعندما تبذل النسوية الرئيسية (أي النسوية في فرنسا وبريطانيا وأمريكا التي تملكها النساء البيضاوات) جهدها للنضال ضد التهميش والتمييز لدى النظام الأبوي قد تردّد نفس الظلم والقمع على النساء الملوّنات برئاسة السود. كما تأوهت باربارى سميث Barbara Smith في بداية مقالتها "نحو نقد النسوية السوداء" (١٩٧٧): "لا أعرف من أين أبدأ..... كل مجال في العالم الأدبي – نظامي أو تقدّمي أو أسود أو نسوي أو سحاقي – كله لا يعرف أو يبدو لا يعرف وجود الكاتبة السوداء أو السحاقية السوداء. هذا الصمت ملفوف ضخم يبدو أنه لا يمكن انقطاعه"[٢]. إن الكاتبات السوداوات يعانين من القمع المزدوج: هما الجنسي والعنصري، فيكنّ في هامش الهوامش سواء في التاريخ الأدبي أو النقد الأدبي.

وبعد أن ظهر أن النساء البيض والذكور البيض والسود كلهم ينظرون إلى تجاربهم الذاتية كالمعيار اليقين، فإن تجارب النساء السود فهي كالفروع أو الضلال، تعتقد ناقدات النسوية السوداء أنه لن تمنح العدالة للكاتبات السوداوات في المجال الأدبي إلا من خلال تأسيس النظرية النقدية التي تُبنى على تعيين الهوية. فهذه سميث تدعو إلى تكوين نظرية النسوية السوداء الكاملة لاستناد نقد أعمال الكاتبات السوداوات إليها. تقول سميث إن أعمال الكاتبات السوداوات اللواتي يجاهدن لها "خارج المعيار الرئيسي عند البيض والذكور"من ثم يعطينهم تحليلاً "رؤيوياً غير عدائي"[٣].

بالإضافة إلى إظهار أعمال الكاتبات السود التي تُهمَل وتُقمَع بالنظام الأدبي الرئيسي، هناك أهمية أخرى لنقد النسوية السوداء وهي تأسيس تقليد الأدب النسوي الأسود والبحث عن جمالية الكتابة النسوية السوداء الخاصة. والخصوصية الأولى هي "كتابة السيرة الذاتية" autobiography. تشير بيل هوكس إلى أن كتابة السيرة الذاتية ليست تقليداً أدبياً قيماً لكاتبات سود فقط، بل هي أداة مفيدة موثوقة ذاتياً للمرأة المضطهَدة وقوة إدخال المحادثة لها[٤]. ولا يحتوي السرد الذاتي لكاتبة سوداء صوتاً فردياً مجرداً، بل يتضمن أصوات الجميع كما تقول

---

[١]– سارة جامبل، ترجمة أحمد الشامي (٢٠٠٢)، **النسوية وما بعد النسوية**، ط١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ص٢٦٤– ٢٦٥.

[٢] - Barbara Smith, "**Toward a Black Feminist Criticism**", in Showalter ed. (1985), **The New Feminist Criticism**, New York: Pantheon Books, p.168.

[٣] - Ibid., p.169.

[٤] - See: Bell Hooks, "**Revolutionary Black Women: Making Ourselves Subject**", in Bart Moore Gilbert ed. (1997), **Postcolonial Criticism**, p.232-233.

جوآن بريكستونJoanne Braxton: "تُدمِج الكاتبة قيم الأمة في تمثيلها الذاتي، حتى تكون كتابتها مثل نقطة الوعي لأخواتها"[١]. وهذا العالم السردي متكوّن من أصوات فردية وجماعية هو"المجال الأنثوي"[٢] الذي يسجّل تجارب النساء السود اللواتي يعانين من الاستبعاد العنصري والاضطهاد الجنسي جيلاً بعد جيل.

أما الخصوصية الأخرى لأعمال الكاتبات السوداوات فهي "النص الشفوي"[٣] الذي يرجع إلى تقليد السود النطقي. بالإضافة إلى مُهمّة التقليد النطقي بإعادة تقديم التجارب الجماعية لنساء سود، هناك أهمية أخرى هي وراثة وتحويل الأسلوب الجمالي الأفريقي. يرث النص الشفوي الأسلوب الفني والثقافي من القبيلة والمملكة الأفريقية القديمة، كما تشير الناقدة النسوية السوداء ماريون كرافت Marion Kraft إلى أن مراجعة ووراثة الكورس chorus التقليدي على متن الكاتبة السوداء تنفّذ في أصواتها السردية التي تسردها بالأسلوب الكورسي وتمثّل دور الواسطة من خارج وداخل المتن لتتفاعل مع القارئة[٤]. كما كتبت أليس ووكر Alice Walker في نهاية كتابها "اللون الأرجواني" (The Color Purple): "أشكر جميع المشاركين في هذا الكتاب، أ. و، كاتبة وواسطة"[٥]. فهذا النص الشفوي ليس كلاماً من اتّجاه واحد لكنه حوار بين الاتجاهين أي الكاتبة والقارئة.

٢- مؤسسات نظرية نسوية ما بعد الكولونيالية

أ- جاياتري سبيفاك Gayatri Spivak

يصف كولين مككاب Colin McCabe في مقدّمة كتاب "في عوالم أخرى" (In Other Worlds) سبيفاك أنها "نسوية ماركسية تفكيكية"[٦]. وهي ناقدة ومفكّرة ثقافية تتميز بتوجّه نظري مركّب، وقد أدّى ذلك إلى تهمتها بالتلفيق المنهجي وعدم الاتّساق. لكن أفضل وصف لمنهجها هو أنه محاولة للجمع بين النقد التفكيكي والتحليل الماركسي بقصد إلقاء الضوء على تشكيل الذات التابعة (على أساس الجنس) من خلال الخطاب، مع الإشارة إلى القوة المادية التي تقف

---

(١) - Joanne M Braxton (1989), **Black Women Writing Autobiography, A Tradition Within a Tradition**, Philadelphia: Temple University Press, p.5.

(٢) - Marion Kraft (1995), **The African Continuum and Contemporary African American Women Writers**, New York, p.58.

(٣)- Speakerly Text, the term originally used by Henry Louise Gates, Jr. (1988), **The Signifying Monkey: A Theory of African American Literary Criticism**, New York and Oxford: Oxford University Press, chapter 5th about Zora Neale Hurston.

(٤)- Marion Kraft (1995), **The African Continuum and Contemporary African American Women Writers**, New York, p.27.

(٥)- Alice Walker (1992), **The Color Purple**, Harcourt, Inc., 1st ed., USA, p.290.

(٦)- Colin McCabe, Forward to Gayatri Spivak (1987), **In Other Worlds, Essays in Cultural Politics**, New York and London: Methuen, Inc.

وراء هذا التشكيل[١]. وتتمحور نظرة سبيفاك في نسوية ما بعد الكولونيالية في جهتين، الأولى اختراق أعمال النسوية الغربية وكشف إجراءاتها لإعادة صيغ نساء العالم الثالث، أما الثانية فهو من خلال قراءة نصوص العالم الثالث النسوية ثم التفكيك لإظهار التَبَعية عند نساء العالم الثالث. قصدها الأول كشف الوعي الإمبراطوري لدى النسوية الغربية أي عرض تشكيل ذاتها المتفوّقة على نساء العالم الثالث، والقصد الآخر انتقاد العناء المزدوج أي الاضطهاد الجنسي والتهميش العنصري عند نساء العالم الثالث.

أ- ١- نظرة سبيفاك النسوية ما بعد الكولونيالية تفكيكياً

لقد أخذت سبيفاك طريقتها وموقفها الخاص لتكوين نظريتها نحو نسوية ما بعد الكولونيالية؛ فمن جهة الطريقة، تهدف إلى إعادة الصيغة الذاتية لنساء العالم الثالث الخاصة، وتبحث عن العوامل الكامنة في سيطرة النساء البيض ومكونات الإمبراطورية المساهمة داخل نظرية النسوية الغربية. أما من جهة الموقف فــتأخذ بالجوهرية الاستراتيجية strategic essentialism، ولا توافق على وجود الجوهر النسوي العالمي الذي يعبر عن كل العناصر وكل حدود البلاد، بل تأخذ موقفاً صارماً ضد ميل النظرية النسوية الغربية إلى امتصاص assimilate تجارب نساء العالم الثالث من خلال تجربة الحركة النسوية الغربية. كما تعتقد أن نظرية النسوية الغربية تحاول السيطرة على أصوات نساء العالم الثالث. وتشدّد سبيفاك على احتلال التجربة الجسدية الأنثوية وإجبارية تشكيل الخطاب الأنثوي من جديد، فتهتم بقراءة النصوص الأنثوية لكي تبرز المثال التفسيري والوضع المنطقي الذي يناسب مكانة نساء العالم الثالث الحقيقية. فتشير في مقالتها "نسوية ونظرية نقدية"(Feminism and Critical Theory) إلى عدم إمكانية التحدّث عن النسوية بشكل عام بل تتحدث عن إمكانياتها كناقدة نسوية واحدة، وتشدّد أكثر على ضرورة الوعي بالموقع الخطابي، أما بالنسبة إلى موقع سبيفاك الخطابي لتعريف "الأنثى" فلنقل إنه يقع في تعريف "الذكر" لدى كل النصوص المتضمَّنة في النظام النقدي الأدبي، أي كلمة "الأنثى" قد يكون تعريفها نسبياً إلى كلمة "الذكر"[٢].

وينبغي ألا نرى في نظرة سبيفاك نحو تعريف الأنثى أنها تابعة للذكر بل هي تطرح شكّاً "تعريف" (definition) ما في موقفها من التفكيكية كما يأتي:

أولاً: وفقاً لنظرية التفكيكية الأساسية، قد يكون كل تعريف مستحيلاً. وتتأصّل هذه

---

[١]- سارة جامبل، ترجمة أحمد الشامي (٢٠٠٢)، **النسوية وما بعد النسوية**، ط١، القاهرة: المجلــس الأعلــى للثقافة، ص٤٨٨.

[٢]- Gayatri Spivak (1987), "**Feminism and Critical Theory**", in **In Other Worlds, Essays in Cultural Politics**, New York and London: Methuen, Inc., USA, p.77.

الاستحالة من أن التعريف نفسه يبنى على "استثناء غير التعريف" وهو ما زال نوعًا من المقاومة الجوهرية تحت الثنائية التعارضية. إذ بعد تفكيك "الأنثى/ الذكر، لا بد من الوصول إلى النتيجة النهائية وهي أن هذه المعارضة الضدية binary opposition بديل مجرد. وهذا التبديل حركة مستمرّة لإثبات جوهر النفي من خلال استثناء جوهر آخر. فترى سبيفاك أن كلمة "الذكر" تعريف جوهري ينتمي إلى استثناء "الأنثى". فبحسب الذكر ذات المعرِّف الذي يعرّف الآخر، لا يترك تعريف الأنثى منظر الذكر، ولا بد أن يتّجه (تعريف الأنثى) إلى حالة ما دون جوهره الذاتي معرَّفاً بكلمة الذكر[١].

ثانياً: إن استعمال الكلمة متضمّن في النظام اللغوي الذي يتضمّن هذه الكلمة، أي يستعمل الناس كلمة ما من خلال قواعدها المتكوّنة في النظام اللغوي المعيّن. إذ إن الدخول إلى كلمة معرَّفة ما يعني الدخول إلى قواعد تعريف هذه الكلمة. فلا يمكن أن نفهم تعريفها الذاتي إلا بعد فهم كل قواعد النظام اللغوي. فإذا قلنا إن كلمة الأنثى تحصل على تعريفها من كلمة الذكر يعني نقص تعريفها الذاتي في النظام الخطابي الحالي، وعليه فمن اللازم أن نعرّفها فلا بد من تناسُل التعريفات المتعددة المسيطرة عليها باستمرار.

أ- ٢- انتقاد سبيفاك النسوي للماركسية والفرويدية

تشير سبيفاك إلى المسألة العميقة نحو الخطاب الإنساني human discourse. الذي يعد الأدب جزءًا من مجال الخطاب الإنساني لكنه لا يساوى بالخطاب الإنساني العام الذي يبحث عن الحلّ، ولا يأخذ الطريق بالاتجاه الصحيح. وفقاً لنظرة سبيفاك، هناك تمثيل ما خارج المشكلة كالحلّ [٢]، أي أنّ حلّ المشكلة يكون في خطاب المشكلة. بسبب ذلك، فالبحث عن الحلّ المناسب للمشكلة النسائية يعني البحث عن كيفية تقديم الخطاب الإنساني حول النساء. تبيّن سبيفاك إضافة لتشكيل الخطاب الإنساني وتطرح شكّاً فعّالا بالخطاب المبني established discourse. وترى أن الخطاب الإنساني مكوّن من ثلاثة مفاهيم تبادلية هي: لغة عالم ووعي. فلا نعرف عالماً إلا العالم المتكوّن كاللغة، ولا نستعمل وعياً إلا الوعي المتشكّل مثل اللغة. ولا نملك هذه اللغات لأننا نسيطر بها كذلك. واللغة نفسها مصمَّمة بالعالم والوعي من جهة، لكنها تحتوي على فئات العالم

---

[١]- Gayatri Spivak (1987), "**Feminism and Critical Theory**", in **In Other Worlds, Essays in Cultural**

Politics, New York and London: Methuen, Inc., USA, p.77.

[٢]- A playing out of the problem as the solution. Gayatri Spivak (1987), **In Other Worlds, Essays in Cultural Politics**, Methuen, New York and London: Methuen, Inc., USA, p.77.

والوعي من جهة أخرى[٣]. بحسب هذا الموقف، تشكّ سبيفاك في أي خطاب وحدوي وخاصة الخطاب الذكري، منه الماركسية، والتحليل النفسي الفرويدي. وترى أن هاتين النظريتين مهمتان لأن أسسهما تؤثّر في مفاهيمنا نحو العالم والنفس[١]. وتكوّن أعمالهما الفكر الرئيسي حول التاريخ الموحّد والحياة الفردية عند الخطاب الإنساني المعاصر، وإلا فإن الأنثى لن تملك مكانتها الإيجابية فيه. حيال سبيفاك، فإن ماركس يأخذ العالم كقضية أو يبدأ فرويد من بُعد النفس، كلاهما ينتمي إلى مفهوم الذكر الموحّد وهو فوق الجنس والعنصر والطبقة كأنه مفهوم عام. لكن هذه المحاولة لتسهيل الاختلافات بين الأنثى/ الجنس/ الجندر وتحويلها إلى خطاب مثالي سوف تنتهي إلى الإخفاق. تقول سبيفاك: "قد طرحا نظريتهما من خلال طريقة الحجّة والبرهان، لكن يبدو أنّ برهنتهما تنشأ من عالم الذكر أو نفس الذكر مما يشرح الحقائق المعينة نحو العالم والنفس. وللأسف، قد يبني وصفهما حول العالم والنفس على الحجج غير الكافية"[٢].

وعلى الرغم من تأكيد سبيفاك لإيجابيات الفكر الإنساني في الماركسية، تعتقد أنها غير ملائمة في قضية المرأة. وترى أن الماركسية تهمل قيمة عمل المرأة المنزلي وأهميته في الإنتاج، وتستثني (الماركسية) عملها المنزلي من العمل الاجتماعي فتحدّدها عملاً من غير قيمة. أما عمل المرأة الإنجابي فيُمحى من العمل الاجتماعي تحت صنوف العمل الفردي مما يجعل مكانتها تتلاشى كلياً، وفي انتقادها للفرويدية، تنتقد سبيفاك تشابهها مع الماركسية التي تتجنّب النظرة إلى الرحِم كأنه مكان ما للإنتاج. فتطرح سبيفاك نظرتها "حسد الرحم" (womb-envy) مواجهةً لنظرة فرويد "حسد القضيب" (penis-envy). وتحاول تشكيل الخطاب الأنثوي من خلال "خطاب البظر" (the discourse of the clitoris) لانتقاد تبعية المرأة للرجل وتشكيل تفوّقها في المجال الإنتاجي من جديد.[٣]

ووفقاً لسبيفاك، فإن القراءة التفكيكية تهدف إلى بناء شكليات التفكيك الانقلابي الانزياحي (reversal-displacement morphology of deconstruction) مما يبيّن توزيع الربح اللامساوي على مَرّ التاريخ[٤]. هذه الاستراتيجية تحتاج إلى تسلل واختلاط بين النظريات، وتحتاج إلى كشف إجراءات تشكيل المعرفة بدقة. فمن خلال النسوية التي تُدخِل القضية التاريخية والسياسية

---

[٣]- Gayatri Spivak (1987), "**Feminism and Critical Theory**", in **In Other Worlds, Essays in Cultural Politics**, New York and London: Methuen, Inc., USA, p.77-78.

[١]- Gayatri Spivak (1987), "**Feminism and Critical Theory**", in **In Other Worlds, Essays in Cultural Politics**, New York and London: Methuen, Inc., USA, p.81.

[٢]- Ibid., p.78.

[٣]- Ibid., p.80-81.

[٤]- Ibid., p.84.

إلى التحليل النفسي والنسوية التي تدخل القضية الاقتصادية إلى الماركسية، سوف نملك حيلة الاستعمار والإمبراطورية ومن ثم تتشكّل نسوية ما بعد الكولونيالية التي تحتوي على قضية العنصر والطبقة والجنس.

ب – بيل هوكس Bell Hooks

إذا تتبعنا تقاطع نقد ما بعد الكولونيالية والنسوية ووجهات النظر الجديدة في الجسد واللغة والعلاقة بين النظرية والممارسة والتفاعل بين الفرد والسياسة، فإن بيل هوكس ستكون شخصية مثالية لأنها تعبر عن الحدود بين الحقول المنافسة عند دراسات فيما بعد الكولونيالية[١]. وهي ناقدة ومؤلّفة غزيرة الإنتاج ومن كبار النقاد في مجال النقد الثقافي عند السود. اسمها الأصلي جلوريا جين واتكينز Gloria Jean Watkins. نشرت أوّل أعمالها بعنوان "ألستُ امرأة؟" (١٩٨١) عن تهميش المرأة السوداء في إطار النسوية، وذاعت شهرتها بفضل هذا الكتاب. وكتبت بعده أعمالاً عديدةً عن الأدب الروائي والسينما والنسوية والنظرية الثقافية. والنسوية عند هوكس لا تقتصر على المساواة في الحقوق بين المرأة والرجل بل هي جزء من معركة عامّة ضد القمع[٢]. لكنها لا تصف نفسها كـــ "نسوية سوداء" وتفضّل استخدام عبارة "أنا أناصر النسوية" على "أنا داعية نسوية" لأنها تريد الانتقال للقضية من نمط الحياة الفردية إلى النماذج السياسية والتغيرات الاجتماعية التي تتركز في الجماعة مثل التغيرات الفردية[٣].

تتحدّث هوكس عن الثورة وبناء ذات الأسود الراديكالي من جديد، وتعبر عن ذلك في دراساتها، وتكتب عن الفيلم والموسيقى والموضة، وترى الأهمية السياسية في الصفّ كما في الثقافة. إذ هي امرأة سوداء تكتب بطرق متعددّة تتضمّن الرواية المختلطة بأفكار سياسية قوية. تركز في أعمالها على قضايا الاختلاف والجنس وتعالج المسائل النظرية المشابهة التي عالجتها سبيفاك في "نسوية فرنسية في إطار دولي" (French Feminism in an International Frame). وتدعو إلى السياسة الراديكالية التي تتجاوز التعارض من خلال الخطاب الذي يبدو ردّاً على دعوة إدوارد سعيد إلى "اختلاف إبداعي أكثر من اختلاف مجرّد"[٤]. ترى هوكس أن ما بعد

---

[١]- Bart Moore Gilbert, Gareth Stanton and Willy Maley ed. (1997), **Postcolonial Criticism**, London and New York: Longman, p.43.

[٢]– سارة جامبل، ترجمة أحمد الشامي (٢٠٠٢)، **النسوية وما بعد النسوية**، ط١، القاهرة: المجلـــس الأعلـــى للثقافة، ص٣٧٠.

[٣]- Bell Hooks (1989), **Talking Back: Thinking Feminist, Thinking Black**, Boston: South End Press, p.182.

[٤]- Edward Said, " An Ideology of Difference", in Gates ed., **Race, Writing, and Difference**, p.57, cited in Bart Moore Gilbert ed. (1997), **Postcolonial Criticism**, London and New York: Longman, p.45.

الكولونيالية وسيلة تحتوي على قضية العنصر أو متعلّقة بها تحت عنوان آخر، وتفضّل "الحركة النسوية" كضرب من الممارسة على مجرّد "النظرية النسوية"[٥].

ب –١– نقد هوكس النسوي الحواري – من الهامش إلى المركز

بيّنا سابقا أن النساء السود يعانين عناءً مزدوجاً عنصرياً وجنسياً، ولا ينتمين إلى المجتمع الرئيسي ويستبعَدن عن النساء البيض والذكور السود. تحت هذه الحالة، بدأت هوكس نظرتها الخاصة: "عيشة كما عشنا – في الهامش – طوّرنا طريقة معيّنة لنظرة الواقع، نظرنا من الخارج إلى الداخل ومن الداخل إلى الخارج. ركّزنا اهتمامنا على المركز كما على الهامش. فهمنا كليهما. طريقة النظرة هذه ذكّرتنا بوجود الكون بأسره، وهو الهيئة الرئيسية المتكوّنة من الهامش والمركز"[١]. هكذا ترفض هوكس نمط الثنائية التعارضية الغربية وتأخذ طريقتها المتزامنة أي لا يكون عنصرها أسود فحسب بل يكون جنسها أنثوياً أيضاً. بناءً على هذا الموقف، تتسم معظم أعمالها بالأسلوب الحواري، لأن الحوار يقبل أصواتاً مختلفة وكلها ذاتي غير تابعي[٢].

وتختلف المرأة السوداء عن المرأة البيضاء البرجوازية، فالمرأة السوداء تواجه القمع التزامني مثل العنصري والجنسي والطبقي من البداية. ويسبّب هذا القمع التزامني وجود الكلام المتزامن وتعايش الأصوات المختلفة في نقد بيل هوكس النسوي. أي أن نقدها يحتوي على الكلام التنافسي والكلام التوافقي. فالتعارض بين المرأة السوداء والرجل الأبيض يكون في الكلام التنافسي المطلق، أما نساء العالم الثالث الأخريات، فتأخذ الموقف المتشابه مما يكوّن الكلام التوافقي. تقول هوكس: "نظراً إلى التشابك بين الجندر والعنصر والطبقة هو الذي يغيّر اتّجاهات الأفكار النسوية"[٣]. والعلاقة الحوارية بين المرأة السوداء والرجل الأسود والمرأة البيضاء البرجوازية ظاهرة لتجسيد الانفعالات بين الكلام التنافسي والكلام التوافقي أي الاختلاف العنصري في تعيين الجنس والاختلاف الجنسي في تعيين العنصر[٤]. تناضل المرأة السوداء مع الرجل الأسود ضد القمع العنصري لكنها تواجه القمع الجنسي منه، وتناضل مع المرأة البيضاء

---

[٥]- Bart Moore Gilbert, Gareth Stanton and Willy Maley ed. (1997), **Postcolonial Criticism**, London and New York: Longman, p.45.

[١]- Bell Hooks (2000), **Feminist Theory: From Margin to Center**, 2nd ed., Cambridge: South End Press, p. xvi.

[٢]- M.M.Bakhtin (1984), **Problems of Dostoevsky's Poetics (Theory and History of Literature)**, London: University of Minnesota Press, p.6-7.

[٣]- Bell Hooks (2000), **Feminist Theory: From Margin to Center**, 2nd ed., Cambridge: South End Press, p. xii.

[٤]- Henderson Gwendolyn, "Speaking in Tongue", Winston Napier ed. (2000), **African American Literature Theory: A Reader**, New York, p.349.

نحو القمع الجنسي لكنها تواجه القمع العنصري منها. فيتقاطع هذان الكلامان ويتكاملان مكوّنين الصوتين المتداعمين في نقد بيل هوكس النسوي، من ثم يتوسّعان إلى كلام متشعب يتضمن العنصر والجنس والطبقة.

والجدير بالذكر أن بيل هوكس في نقدها النسوي تقدم رؤية جديدةً لتقييم العلاقة الضدية بين المرأة والرجل. بدلاً من الحقد الشديد في الموقف النسوي الغربي القديم، تدعو هوكس إلى التعاون بين المرأة والرجل وترفض أي نوع من الانفصالية. تقول: "لا يُستغَلّ أو يُضطهَد الرجل من تمييز جنسي، لكنّ هناك طرقا ما تجعله يعاني"[١]. وترى أن الرجل الذي يناضل ضدّ التمييز الجنسي لا بد من تأكيد موضعه في الحركة النسوية، وهو من رفاق المرأة في نفس الجبهة[٢].

من جانب آخر، تمشي المرأة السوداء والمرأة البيضاء معاً في سبيل النضال الجنسي، لكن المرأة البيضاء تهمل أمراً: هناك مكوّنات اجتماعية وثقافية بالإضافة إلى المكوّنات الجسدية، تتجاهل الاختلاف الداخلي بين المرأة وتعمّم تجربتها كتجربة عالمية. تنتقد هوكس الأختية sisterhood المدَّعاة في الحركة النسوية الثانية: "يعتبر التركيز على الأختية كدعوة عاطفية ما تقنّعها الانتهازية من المرأة البيضاء البرجوازية"[٣].

ب –٢– تعيين ذات المرأة السوداء الراديكالية

أخذت هذا الاسم الجديد للتعبير عن رغبتها في إلغاء الصورة المعينة التابعية المتمثلة في الآخر وفي تشكيل نفسها الذاتية من جديد (فبيل هوكس) ليس اسمها الحقيقي. على الرغم من موقفها ضد الانفصالية، وتشديدها على التجربة الذاتية وكتابة سيرة قد يجعلها متَّهَمة بامتياز الفرد. لكن ما فعلته هوكس هو إعادة توجيه مفهوم الذات ولن تعتذر لاهتمامها بالتجربة الفردية لأنها نوع من التحرير وأحد المكوّنات الحاسمة لدعم نظرتها حول تعيين ذات المرأة السوداء الراديكالي. باختصار إن الطريقة التي تأخذها هوكس هي بعبارة "المخالفة في الرأي" (talking back) كما تصف: "في عالم المجتمع الأسود الجنوبي كبرتُ بسبيل "المخالفة في الرأي" (back talk and talking back) أي إنها تمتلك الجرأة في المعارضة وإنها أحياناً تعني فقط أنها تملك رأيها الخاص"[٤].

والسبب الذي جعل هوكس تشدد على تعيين الهوية هو حالة القمع التي تعانيها المرأة

---

[١]- Bell Hooks (2000), **Feminist Theory: From Margin to Center**, 2nd ed., Cambridge: South End Press, p.73.
[٢]- Ibid., p.82.
[٣]- Ibid., p.44.
[٤]- Cited in Bart Moore Gilbert, Gareth Stanton and Willy Maley ed. (1997), **Postcolonial Criticism**, London and New York: Longman, p.44.

السوداء مما جعلها موضوعاً تابعاً. بجانب القمع الظاهر كالسياسي والاقتصادي، هناك قمع الوعي الذي يؤثّر في تعيين هوية المرأة السوداء. فمن جهة الوعي، يصنع الكلام الرئيسي صورة المرأة السوداء المصحّفة والمشوّهة والمُلتوية من خلال وسائل الإعلام. ولا يمكن أن تتكلّم المرأة السوداء عن نفسها وتفقد قدرة تثبيت هويتها، فتكون موضوعاً مستمراً وتُوضَع في هامش المجتمع تدريجياً. تبيّن هوكس حالة استخدام المرأة البيضاء موقعها المسيطر وكلامها المسيطر على تهميش المرأة السوداء: "يجعلنَ (النساء البيض) مثل موضوعات خطابهنّ المميّز العنصري، نكون مواضيع، نظلّ غير متساويات ودنيئات"[١].

وتفضّل هوكس استخدام "تفوّق الأبيض العنصري الرأسمالي"(white capitalist racist supremacy)[٢] على الاستعمارية. بالإضافة إلى استجواب الأبيض، تلفت انتباهها لواقعة الأسود الأخرى: "أسطورة تفوّق الأبيض التي يناضلها الأفريقي الجنوبي قد تتمثّل بالأسود الأمريكي عندما نبالغ في تقدير الذين بشرتهم فاتحة وشعرهم مسترسل حينما نتجاهل السود الآخرين"[٣]. هكذا تعرض نظرتها النموذجية حول الشبكة المحلّية لخطاب التمييز ضمن النمط الأكبر للهيمنة والخنوع وهو اختلاف من الاختلافات.

وتؤكّد هوكس ضرورة احترام الاختلافات فتقول: "مجرّد النضال لا يكفي"[٤]. إن تشكيل هوية المرأة السوداء ليس منفياً فقط – أي يبني على تفوّق البيضاء – بل هو إيجابي، ينبغي ألا يسقط في مَنطِق الثنائية التعارضية التقليدي عند تعيين الذات. وتهتمّ باحترام الاختلافات أثناء تشكيل الهوية، وتحاول تطوير الوعي النقدي الذي يحترم الاختلاف بينما يمسح الاستعمار العقلي[٥]. إن فكر هوكس في ذات المرأة السوداء قد جعلها تتجاوز مجال نسوية المرأة السوداء المبدئية وتعلّقها بمجال ما بعد الكولونيالية.

مهما يكن الاختلاف بين سبيفاك التي ولدت في العائلة البرهمية ذي الأرض، وبيل هوكس التي ولدت من عائلة سوداء جنوبية متواضعة، كلتاهما شخصية أكاديمية كبيرة، كل منهما قد

---

(١)- Bell Hooks (2000), **Feminist Theory: From Margin to Center**, 2nd ed., Cambridge: South End Press, p.13.

(٢)- Bell Hooks (1994), **Outlaw Culture: Resisting Representations**, New York and London: Routledge, p.45.

(٣)- Bart Moore Gilbert, Gareth Stanton and Willy Maley ed. (1997), **Postcolonial Criticism**, London and New York: Longman, p.45-46.

(٤)- Bell Hooks (1990), **Yearning: Race, Gender, and Cultural Politics**, Boston: South End Press, p.16.

(٥)- See: Bell Hooks, "**Revolutionary Black Women: Making Ourselves Subject**", in Bart Moore Gilbert ed. (1997), **Postcolonial Criticism**, Longman: London and New York, p.215-233.

تركت مجتمعهما الأصلي وتفاوضت بطرق مُثمِرة في المساحة بين التجربة والخبرة. حينما تهتمّ سبيفاك بالنظرية، تُعتبَر نظرة بيل هوكس التفكيكية على نحو آخر: تخالف في الرأي، تسأل أسئلة صعبة، وتُصرّ على أفعال مختلفة.

ثالثاً: الحركة النسوية في العالم الثالث: فلسطين والصين نموذجاً

على الرغم من أن جاياتري سبيفاك وبيل هوكس مؤسستان شهيرتان حول نظرية نسوية ما بعد الكولونيالية، لكنهما نشيطتان في المجال الأكاديمي الغربي. يمكن أن نراهما مندوبتين لنساء العالم الثالث، لكن إذا ركّزنا في نظراتهما فقط لا بد أن نردّد نفس الظلم لتصميت وتهميش نساء العالم الثالث الأخريات. فحاولنا في هذا القسم تلخيص حالة النسوية في العالم الثالث عامّة، والحركة النسوية في فلسطين والصين خاصّة.

١- النسوية في العالم الثالث

تقول كوماري Kumari Jayawardena في كتابها "نسوية وقومية في العالم الثالث" (Feminism and Nationalism)، إن مفهوم النسوية يسبّب تشويشاً في العالم الثالث.ويراها تقليديون ومحافظون سياسيون حتى بعض اليساريين نتاجا لانحطاط الرأسمالية الغربية التي تُبنى على ثقافة أجنبية دون علاقة مع نساء العالم الثالث، وهي تُبعِد النساء عن ثقافتهن ودينهن ومسؤولياتهن الأسرية. كما يرى بعض الأوروبيين عدم وجود أي مقاومة نسوية في العالم الثالث إلا من خلال محاكاة أمثلة غربية مجرّدةً. لكن هذه الآراء غير صحيحة؛ لأن النسوية ليست مستوردة من الغرب إلى الشرق بل من الحالات التاريخية التي أنتجت تغيّرات فكرية مؤثّرة على النساء، غير أنها تتضمّن فكرة غربية وصدمة إمبراطورية. هناك نضال لحقوق النساء وتعليمهن في الصين في القرن الثامن عشر؛ وحركات لتحرير النساء الاجتماعي في الهند في أوائل القرن التاسع عشر ودراسات في البلاد الأخرى تُظهر نضالات نسوية قبل ثمانين أو مائة سنة في معظم بلاد آسيا.[١]

ووفقاً لدراسة كوماري، كانت هذه البلاد تبذل الجهود نفسها للحصول على الاستقلال السياسي والدعوة إلى تعيين هويتها الوطنية وتحديث المجتمع وهدم السيطرة الإمبراطورية. كلها تواجه فتحاً أو احتلالاً أو عُدواناً أجنبياً. هناك ثلاثة أوجه عامّة في طريق النضال: أولاً، رغبة تحقيق الإصلاح الداخلي لتحديث مجتمعهم الذي يعدّ ضرورياً لمقاومة الإمبراطورية. ثانياً، تفكيك تراكيب ما قبل الرأسمالية، وخاصة السلالة الحاكمة والنظام الديني الذي يحتاج إلى

---

[١]- See: Kumari Jayawardena (1994), **Feminism and Nationalism in the Third World**, 5th impression, London: Zed Books, p.2-3.

إصلاحات داخلية. ثالثاً، الإصرار على الهوية الوطنية اعتماداً على تحريك الناس ضد الإمبراطورية. هكذا تتشابك القوات الخارجية مع القوات الداخلية.[٢]

وتشكل النضالات في سبيل تحرير النساء جزءًا أساسيًّا من حركات المقاومة الوطنية في العالم الثالث، وقد ظهرت المسألة الأنثوية في هذه البلاد في أوائل القرن العشرين بقوة. ودار حولها مناقشات عن دور المرأة فيما مضى. وفي عصر التوسّع الإمبراطوري والرأسمالي اتّخذت المسألة أبعاداً جديدة، ومع نمو الرأسمالية قد يتغيّر نظام المجتمع القديم، ليظهر طبقات جديدة جعلت النساء يضعن المسألة القديمة في التغيّر الجديد.

طالبت النساء بحقوقهن الديمقراطية مثل المساواة في العملية القانونية وحقوق المهنة والسياسة وحقوق التصويت والتعليم والممتلكات إلخ. وقد طالبت النساء العاملات بأجر مساو للرجل.[٢] لكن هذه الإصلاحات لم تملك مؤثرات كثيرة على الحياة اليومية لمعظم النساء، ولم تعالج المسألة الأساسية لتبعية النساء ضمن الأسرة والمجتمع.

ويشير مصطلح "المرأة الجديدة" New Woman الشائع في بعض بلاد العالم الثالث إلى جانب آراء المفكّرين المُصلِحين إلى أن مكانة المرأة هي رمز للحضارة. على الرغم من ظهور المصطلح التشابهي في العالم الثالث؛ قد عُرضت اختلافات مفهوم المرأة الجديدة على مناطق مختلفة؛ ففي بعض البلاد الإسلامية شدّدت الحداثيات على محاكاة أنماط اللباس الأوروبي حتى آخر موضة ونبذ اللباس التقليدي. وترى بعضهن أن الحجاب علامة للتخلف وعُزلة للمرأة. أما في بلاد آسيا الأخرى فتلبس المرأة التمرّدية اللبس الرجولي وتقصّ شعرها متجاوزة السلوك والوقار الأنثوي وفق المعيار التقليدي.[٣]

وعلى كل حال، فقد حققت الحركة النسوية في معظم بلاد العالم الثالث المساواة السياسية والقانونية للمرأة في المستوى الاعتباري، وتطوّر الوعي النسوي من خلال الشكوك في بنية الأبوية التقليدية إلى حد ما.

٢- الحركة النسوية في فلسطين

أ- تاريخ نضال الفلسطينيات عامّة

إن الحركة النسوية الفلسطينية تقع نضالها ضمن المقاومة الوطنية. ونلخّصها في ثلاث مراحل وفقاً لدراسة حميدة كازي: المرحلة الأولى من بداية إنشاء المستوطنة الصهيونية عام

---

[٢]- Ibid., p.3.

[١]- Kumari Jayawardena (1994), **Feminism and Nationalism in the Third World**, 5th impression,
London: Zed Books, p.9-10.

[٢]- Ibid., p.13.

١٨٨٢ إلى إقامة الكيان الإسرائيلي عام ١٩٤٨. المرحلة الثانية تمتدّ من عام ١٩٤٨ إلى يونيوعام ١٩٦٧ – نهاية حرب يونيو وبداية احتلال إسرائيل للضفة الغربية و قطاع غزة. والمرحلة الثالثة هي المقاومة المعاصرة المستمرّة.[١]

المرحلة الأولى: المشاركة السلبية الغامضة وغير المنظّمة

تكاد حرية الحركة النسوية تنعدم تحت نظام المجتمع القاسي، وبدأت بإشراك المرأة الفلسطينية بجانب الرجل الفلسطيني في رفع أصواتهم ضدّ المستوطنة الإسرائيلية الأولى في عام ١٨٨٤[٢]. وأخذت خطوتها الأولى باتّجاه الحركة المنظّمة من خلال تأسيس "مجتمع المرأة العربية" التي وقامت في القدس عام ١٩٢١[٣]. وقد مثّلت دوراً مهمّاً في تنظيم المظاهَرات ضدّ المستوطنات الصهيونية على الرغم من أنها استمرّت عامين فقط. وبدأت المرأة الفلسطينية بجمع المُعدّات مثل السلاح والطعام والماء وأرسلتها إلى رجال المقاومة.

المرحلة الثانية: التقدّم في النشاط الاقتصادي والتربية

كان النضال في هذه المرحلة غير مباشر، بل كان النشاط الاجتماعي والخيري والسياسي السطحي هو الغالب. أما مشاركة المرأة من الناحية الإيديولوجية فقد كانت بقيادة الرجال، لكنها تقدّمت في النشاط الاقتصادي والتربية. لقد أصبحت القضية الاقتصادية محورية للفلسطينيين تحت حالة تهديد الإسرائيليين بعد ١٩٤٨، مما غيّر بنية الاقتصاد الفلسطيني وجعلت المرأة الفلسطينية تخرج من البيت للعمل على الرغم من حكم المجتمع القاسي عليها. كما أصبحت التربية قضية مهمة، وبقي النشاط النضالي محصوراً في المجموعة الصغيرة المتكوّنة من النساء المتعلّمات غالبهن من الطبقة البرجوازية. وبعد تأسيس منظّمة التحرير الفلسطينية في عام ١٩٦٤، أسّست جمعية المرأة الفلسطينية من خلال الإسهام في الجلسة الأولى للمجلس الوطني الفلسطيني المقامة في القدس[٤].

المرحلة الثالثة: المرأة نشيطة في المقاومة الوطنية مع مواجهة المُعضِلة الخارجية والداخلية.

لم يعد دور المرأة الفلسطينية محصوراً في إرسال الطعام والسلاح للفدائيين فقط، بل اشتركت في تخطيط النضال المُسلّح وممارسته. فهناك نساء كثيرات مسجونات بسبب مشاركتهن في النشاط ضدّ الاحتلال. تواجه المرأة المستعمَرة معضلة مزدوجة – مسيطر عليها من الأجنبية

---

[١]- See: Hamida Kazi, "Palestinian Women and The National Liberation Movement: a Social Perspective", Magida Salman (1987), **Women in The Middle East**, London and New Jersey: Zed Books, p.27.

[٢]- Ibid.

[٣]- Ibid.

[٤]- Ibid., p.28.

ومكبوتة من المجتمع، على أن المرأة الفلسطينية تواجه مشاكل إضافية أهمها انقسام فلسطين إلى أراض إسرائيلية خالصة وأخرى محتلة. مع أن ضغط الاستعمار في البلاد الأخرى سياسي، فهناك البعد الديني في فلسطين الذي جعل المستعمِر أكثر عزما على الاحتفاظ بالسيطرة[١]. كما أثر تشتيت السكّان المستمرّ من عام ١٩٤٨ على حياة الفلسطينيين وواجهوا صعوبة من رفض البلاد الأخرى. هذه العوامل جعلت موقع المرأة الفلسطينية أصعب.

ب- المرأة في الضفة الغربية

من الواضح أن حياة الفلسطينيين مهدّدة تحت حالة الاحتلال، من تخريب المجتمع الاقتصادي من جهة، إذ إن للسلطة المحتلة هدفاً واحداً هو سحق أي علامة أو إشارة تجاه أي مقاومة فلسطينية أو تحرّك فلسطيني من جهة أخرى. ناهيك عن المؤثرات النفسية على المرأة في الضفة الغربية. إذ تصبح مشاركة المرأة صعبة إلى أبعد حد في هذه الحالة، ويضع نظام المجتمع العقاب الأكبر في الحين نفسه. بجانب هبوط النمو الزراعي والاقتصادي وفقدان السيطرة على الماء، تغيّر سوق العمل الذي يشمل تغيّر موقع المرأة الاقتصادي وأنماط توظيفها، على الرغم من السبب الاقتصادي والقمع السياسي، من السجن وهجرة الرجال الأمر الذي يجعل المرأة تخرج من البيت للعمل، وتكون رواتبها دعماً أساسياً لبقاء العائلة. أما التربية فهي المجال الآخر الذي تزداد مشاركة المرأة فيه، منذ اعتبارها ركنا هامّا لمقاومة النساء للاحتلال.[٢]

على كل حال، لقد أيقظت الثورة الفلسطينية طاقات المرأة الفلسطينية، بحيث دفعتها في طريق المشاركة الفعلية في جميع المجالات ضمن إطار تنظيمي[٣]، فتغيّرت حالة المرأة الفلسطينية مع تغيير حالة الفلسطينيين من خلال مشاركتها في المقاومة الوطنية. قال بيتيت: "مع تعديلات طفيفة، يستمرّ الهيكل التقليدي وآليات النظام البطريركي حكماً على سلوك المرأة ضمن المقاومة"[٤]. لقد غيّر ذلك موقع المرأة الفلسطينية الضعيف على مر السنين، في الماضي كان تنظيم المرأة انفصالياً ووضع الحكم القاسي عليها، لكنها تحصل على حرية أكثر للحركة الآن. تتميّز قدرتها النسوية في المجال الاقتصادي ومجال التعليم. لكنها لم تتخل عن نظام المجتمع

---

[١]- Hamida Kazi, "Palestinian Women and The National Liberation Movement: a Social Perspective", Magida Salman (1987), **Women in The Middle East**, London and New Jersey: Zed Books, p.29-30.

[٢]- Ibid., p.33.

[٣]- المجلس الوطني الفلسطيني (١٩٧٠)، **نضال المرأة الفلسطينية**، بيروت، ص١٣.

[٤]- J. Peteet, "No Going Back: Palestinian Women in Lebanon", **MERIP**, Jan. Feb., 1986, cited in Hamida Kazi, "Palestinian Women and The National Liberation Movement: a Social Perspective", Magida Salman (1987), **Women in The Middle East**, London and New Jersey: Zed Books, p.35.

التقليدي بل تحاول الحصول على التوازن بين مشاركة الحركة الخارجية والحفاظ على دورها العائلي.

٣- الحركة النسوية في الصين

بدأت الحركة النسوية الصينية من تأثير الأفكار الغربية مثل الحقوق الطبيعية والقانونية natural and legal rights[١] والحرية والمساواة والإخاء Liberty, Equality, Fraternity[٢]. بعدما فشلت ثورة تاي بين تاين جاو في عام ١٨٦٤[٣]، تطوّرت البرجوازية في الصين، فبدأت الطبقة البرجوازية من ثمّ بدأ الزمن الثوري حول قيادة المفكّرين البرجوازيين. بعد حرب جاي ؤو[٤]، قد أصبحت الأزمة القومية خطيرة تدريجياً، فأقام كانغ يووي وليان تشي تشاو وبعض المفكّرين الآخرين حركة وَي شِين[٥] التي تتمحور في إصلاح المبادئ التقليدية الصينية وطرحوا شعار "باين فا توتشان" أي تغيير المبادئ لتقوية البلد. حاولوا الإصلاح الاقتصادي والسياسي من الأعلى إلى الأدنى لكي يتم إنقاذ الصين من الانقراض. منذ ذلك الحين، انتشرت فكرة المساواة بين الجنسين.

أ- أفعال حزب وي شين لتحرير المرأة الصينية

كان مفكّرو حزب وي شين المثاليون هم كانغ يووي وليان تشس تشاو وياين فو، يعتقدون أن تقوية الصين بالاهتمام بالتعليم والحفاظ على العنصر. فاهتمّوا بقضايا المرأة ودعوا للاعتراف بشخصية المرأة المستقلة وحريتها ومساواتها، فيجب أن تتعلّم كما يتعلّم الرجل. يحققون دعوتهم من وسيلتين: ضد تكبيل القدمين foot-binding[٦] وتأسيس المدرسة النسائية.

أ- ١- تأسيس جمعية ضد تكبيل القدمين

تكبيل القدمين نوع من العادات الإقطاعية القبيحة التي أضرّت المرأة الصينية، مما جعلها تفقد شخصيتها الاستقلالية وقدرتها النضالية. كان حزب وي شين يرى أن إنقاذ المرأة الصينية

---

[١]- قد حصلت الصين في أواخر سلالة تثين الصدمة الغربية سياسياً واقتصادياً وعلمياً، فيقظ وعي المفكّرين الصينيين لإصلاح البلد من خلال محاكاة الأفكار الغربية التقدّمية.

[٢]- قول مأثور في الثورة الفرنسية.

[٣]- الحرب الأهلية من قيادة هَون شوتَشون في أواخر سلالة تشين (١٨٥١- ١٨٦٤). كانت تتطوي نصف الصين وتحتلّ مناطق نهر يانزي. قد أنقصت الحرب قوة سلالة تشين وتأثيرها في الثورة البرجوازية التالية (ثورة شين هاي).

[٤]- الحرب اليابانية الصينية الأولى (١٨٩٤) بسبب الكفاح لحكم على جزيرة كوريا. هزمت اليابان الصين، فاتفقت الصين أن كوريا بلد استقلالي وتنازلت تايوان وبونهوللیابان. كانت هزيمة الحرب تُظهر انحطاط سلالة تثين، فتجعلها كطعام للبلاد الغربية خارجياً وتسبّب حركة الإصلاح (حركة وي شين) داخلياً.

[٥]- حركة الإصلاح السياسي (٩/٢١ - ١٨٩٨/٦/١١) بقيادة إمبراطور جوان شو لتحويل الإمبراطورية إلى الملكية الدستورية لكنها فشلت. تأثير فشلها في فقدان المفكّرين المصلحين وتبديلهم الثوريون الراديكاليون.

[٦]- بالنطق الصيني: تشان تشو. إحدى العادات التقليدية الصينية. تلفّ المرأة الصينية قدميها لقاً ضيقاً منذ طفولتها، من حيث تتغيّر عظام القدم صغيرة مشوّهة حتى يكون مشيها بالعقبين فقط. كان يعتبر تكبيل القدمين علامة لجمال المرأة وسلوكها الطيبة.

لاستعادة ذاتها يبدأ من تحرير جسدها أوّلا. فأسّس كانغ يووي جمعية ضد تكبيل القدمين في عام ١٨٨٣، لكنها (الجمعية) قوبلت برفض المحلّيين[١]. في عام ١٨٩٨، قدّم كانغ كتاباً للإمبراطور جاون شو[٢] فيه بيان لتكبيل قدمي المرأة المؤلم وطلب منه أمراً لمنع تكبيل قدمي المرأة وتشجيع تأسيس الجمعية ضد تكبيل القدمين في الأقاليم. قبَلَ إمبراطور جاون شو اقتراح كانغ فحصلت الحركة ضد تكبيل القدمين على القبول والدعم الرسمي، ومن ثم انتشرت تدريجياً. وبعدما فشلت حركة وي شين، انتهت حركة ضد تكبيل القدمين كذلك.

أ- ٢- تأسيس المدرسة النسائية

حينما أقام حزب وي شين حركة ضد ربط القدم، أسّس المدرسة النسائية كوسيلة أخرى لتحرير المرأة الصينية. واعتقد أن تقوية البلد والاحتفاظ بالعنصر يتطلب تطوير البلد وتعليم الشعب. وحزب وي شين أدرك أهمية تنمية تعليم المرأة لتطوّر الجودة الشعبية وتقدّم المجتمع. بيّن ليان تشس تشاو أهمية تعليم المرأة على البعد الاقتصادي، ورأى أن مشاركة المرأة في إنتاج المجتمع سوف يحوّل المستهلك إلى منتج يُثري البلد ويقوّيه، فدعا إلى تعليم المرأة مساواة بتعليم الرجل[٣]. وقد أسّست مدرسة جين جاين بوصفها المدرسة النسائية الأولى في شان هاي في عام ١٨٩٨[٤].

ب - الحركة النسوية أثناء ثورة شين هاي[٥]

بعدما فشلت ثورة تاي بين تاين جاو وحركة وي شين، حاول بعض المفكرّين الصينيين التخلّص من قيود الفكرة الإصلاحية وحاولوا أن يقلبوا الحكم الإقطاعي من خلال الثورة. فمن عام ١٨٩٥-١٩١١، تمرد الحزب الثوري إحدى عشرة مرة تمرّدا مسلّحا، من ثم قلب حكم تشين الإمبراطوري. أنهى الحزب الثوري النظام الإقطاعي الذي استمرّ في الصين لمدّة ألفي سنة، وبدأت الحركة النسوية الصينية.

---

[١]- Kang yo wei, "A Chronicle of Kang yo wei's Life", cited in Shen yun lon ed. (1962), **Monographs of Modern Chinese History**, Taipei: Wen hai published, p.13. (in Chinese)

[٢]- Tang zi jun ed. (1981), **Kang yo wei's Political Discourses vol.1**, Beijing: Jon hwa published, p.335- 336. (in Chinese)

[٣]- Liang chi chao, "New People Discourse, ch.14: Consumer and Producer", Chang ping shin ed. (1999), **The Complete Works of Liang chi chao**, Beijing Press, p.701. (in Chinese)

[٤]- Wang jin shuan, "**Jin Yuan Shan and Jin Cheng Females School**", Economics and Law, vol.13, no.6 (2009), Kuang Dong, p.239. (in Chinese)

[٥]- الثورة الوطنية (١٩١١ -١٩١٢) من قيادة سون جون شان. قصد الثورة انقلاب الإمبراطورية الإقطاعية وتأسيس الجمهورية الديموقراطية. قد انتهت بإنهاء الإمبراطوية في الصين وتأسيس الصين الجمهورية. تأثيرها واسعة بسبب تدميرها الإمبراطورية التي ترمز القيمة التقليدية الإقطاعية فجعلت الصدمة الفكرية نحو أفكار الأخلاقي الصيني القديم.

طرحت قضية المرأة كقضية المجتمع في هذه المرحلة، وكتب بعض المفكّرين الثوريين مقالات تتعلّق بقضايا المرأة مع تطوّر فكرة المساواة بين الجنسين، وتأييد تحرير المرأة الصينية. وفي جمعية تون مون التي أسّست في عام ١٩٠٥[١]، وأغلب أعضائها من النساء، كانت تقيم النشاط الإعلاني وتجمع الأموال وترسل الأسلحة وتؤمن الاتصالات إلخ. كما شاركت المرأة في النضال المسلّح أثناء ثورة شين هاي، وتأسّست جمعية المرأة الجيشية، تخرج من البيت وتترك النظام الإقطاعي، بعضهن تأخذ السلاح وتناضل مع الرجال في الجبهة، وبعضهن تعالج الجرحى.[٢]

تحولت مشاركة المرأة الصينية في النضال المسلّح إلى مشاركتها في الحركة السياسية، ويُعتقد أنها أسهمت في المقاومة لقلب حكم تشين، فلا بد من حصولها على المساواة السياسية. تأسّست جمعية المرأة السياسية وأقيمت الحركة النسوية لمشاركتها في السياسة. لكنها لم تنجح ولم تتبيّن حقوق المرأة المساوية للرجل في القانون الوطني حتى عام ١٩٣١ [٣].

جـــ – وعي المرأة الصينية الذاتي أثناء حركة الرابع من مايو[٤]

– تجديد النظرات التقليدية نحو قضايا المرأة الصينية

إن فترة الرابع من مايو فترة مهمة في تاريخ تطوّر المرأة الصينية. فقد تطوّر تعليم المرأة وكوّن مجموعة المرأة المتعلّمة والمثقّفة والمتأثّرة بالعلم الجديد والفكرة الجديدة. وظهر وعي المرأة الذاتي من خلال المناقشات الواسعة في قضايا المرأة أثناء حركة الثقافة الجديدة New Culture Movement. وقد حصلت على نتيجة مهمّة سواء في تكوين النظرية النسوية أو في تحقيقها.

ولحركة الرابع من مايو معنيان إثنان: الأوّل هو حركة الثقافة الجديدة والثاني هو الحركة السياسية الوطنية. فحركة الثقافة الجديدة حركة فكرية ترفض الثقافة القديمة الإقطاعية من خلال تأكيد الثقافة الجديدة البرجوازية. كانت تشجّع الأخلاق الجديدة ضد الأخلاق القديمة وقصدها إيقاظ وعي معظم الشعوب. تهتمّ بالديمقراطية والعلم وتنتقد النظام الإقطاعي العاجز العتيق. في ذلك الحين، طُرحت قضايا المرأة كمسألة المجتمع، وبدأت مناقشات حادة حول هذا الموضوع،

---

[١]– الجمعية الثورية الرئيسية مؤسّسها سون جون شان (وهو الرئيس الأول في الصين الجمهورية).

[٢]- Lee yo ning and Chang yu fa ed. (1981), **Theses in the History of Chinese Women**, Taipei: Shan wu Press, p.138-160. (in Chinese)

[٣]- Provisional Constitution of the Republic of China During the Period of Shuncheng (1931/6/1), no.6. (in Chinese).

[٤]– الحركة الثقافية والوطنية (١٩٢٦ – ١٩١٩/٥/٤) بسبب مسألة شان دون التي متنازلة لليابان في مـــؤتمر باريس بعد الحرب العالمية الأولى. تأثيرها في تطوير الأفكار ضد الإقطاعية وبدء العـــصر الجديـــد لازدهـــار الأدب الصيني.

فيما يتعلّق بأبعاد واسعة مثل العفّة والتربية والزواج والأنشطة الاجتماعية بين الجنسين إلخ.

جـــ -١- ضد نظرة العفّة[١] والدعوة إلى مساواة العفّة بين الجنسين

إن العفّة أحد المكوّنات المهمّة لمعيار النظام الإقطاعي التقليدي الصيني. كان اهتمام الناس بها ليس قوياً قبل سلالة سَون، يعد زواج الأرملة الثاني شيئا عاديا. لكن بعدما طرح تَشين إي نظرته "موت من الجوع شيء صغير، فقد العفّة أمر عظيم"[٢]، انتشرت نظرة العفّة في المجتمع وأصبحت قيداً ثقيلاً روحياً للمرأة الصينية من خلال تشجيع حكّام سلالات يون ومين وتشين[٣].

بعد ثورة شين هاي وقبل حركة الرابع من مايو، بدأت نظرة العفّة أخطر بسبب تخطيط يوان شي كاي[٤] لإعادة النظام القديم لتقوية حكمه، فبذل جهده لهدم الحركة النسوية وحلّ جمعيتها السياسية وطلب منها الاحتفاظ بالعفّة حتى تشريع القانون لتشجيع من حافظت على عفّتها. انعكست هذه الحالة على قيود المعيار الأخلاقي في النظام الإقطاعي التقليدي الصيني ولم تتنه تماماً، بل مثّلت حبلاً ضخماً يعلّق في عنق المرأة الصينية. ففي فترة الرابع من مايو، اعتقد المفكّرون أن ترك الأخلاق القديمة من خلو قيود المرأة منها نظرة العفّة أولا. فانتقد لوشون نظرة العفّة ساخراً ووضع شكّه في المعيار الأخلاقي القديم[٥]. كما قدّم هوشو نظرته لمساواة العفّة بين الجنسين، اعتقد أن العفّة موقف متساو يجب أن تتأصّل في الضمير لا من التدخّل الخارجي[٦].

جـــ -٢- ضد الزواج التقليدي[٧]

دمّرت حركة الرابع من مايو قيود المعيار الأخلاقي في النظام الإقطاعي القديم، حطّمت نظرة العفّة وشجّعت حقوق الإنسان الذاتية الاستقلالية والمساواة بين الجنسين مما أشعل وعي المرأة الصينية الذاتي، كما شاركت المرأة الصينية في حركة الرابع من مايو السياسية فانتهزت الفرصة للدفاع عن حقوقها التعليمية المساوية وإقامة الأنشطة الاجتماعية بين الجنسين وأقامت

---

[١]- بالنطق الصيني: جَين جَي. أحد أخلاق المرأة الصينية الهامّة. لن تتزوّج المرأة الصينية مرة ثانية بعد موت زوجها. وقيل إن المرأة الخليقة لا تتزوّج أكثر من زوج واحد. كان يشجّع الإمبراطور على احتفاظ المرأة عفتها فتكسب الأرملة العفيفة احترام الشعب وسمعتها العالية.

[٢]- Chen yi and Chen haw (2000), **The Writings of Two Chen**, Shanghai Ancient Books Press, vol.22. (in Chinese)

[٣]- أسماء السلالة الحاكمة الصينية. يون (١٢٧١- ١٣٦٨) ومين (١٣٦٨- ١٦٤٤) وتشين (١٦٤٤- ١٩١٢).

[٤]- كان قائدا عسكريا قويا ذي قوات مسلّحة مثيرة فيحصل على رئاسة جمهورية الصين بعد الرئيس الأول سون جون شان. لكن قصده الحقيقي إعادة الإمبراطورية لاستمرار وتقوية حكمه على الصين.

[٥]- Chinese Women Union ed. (1981), **Essays about Chinese Women during the May 4th Movement**, Beijing: Sanlien Press, p.118. (in Chinese)

[٦]- Ibid., p.108.

[٧]- وهو نوعان: فو مو جي مين ومَي شَوجي يان، أي: الزواج من أمر الوالدين أو من تعليق وسيطة الزواج، وليس من إرادة المرأة الذاتية.

الانتقاد في نظام الزواج التقليدي بقوة. ففي هونان مثلاً، كان هناك حديثان لمكافحة المرأة للزواج التقليدي: الأول انتحار العروس لرفض الزواج المرتزق في المحفّة العرسية اسمها جاو ؤو جين. والثاني لي شين شو التي تركت بيتها تعبيرا عن رفضها الزواج المرتّب من والديها من ثم أعلنت في الصحيفة أنها عزمت الاهتمام بشخصيتها الذاتية واستمرار المكافحة الإيجابية.[١] يبيّن المثالان وعي المرأة الصينية من خلال حركة الرابع من مايو حيث حصلت على الأفكار الجديدة التي أصبحت قوة ضد الزواج التقليدي.

جـــ -٣- إقامة الأنشطة الاجتماعية أمام الجنسين والتخلّص من منع الطالبات من دخول الجامعة

هناك مقالات كثيرة تدعو إلى إقامة الأنشطة الاجتماعية أمام الجنسين ونظراتها الرئيسية تتمثل في أن كل رجل وامرأة إنسان، يجب أن تكون شخصيته / شخصيتها الذاتية استقلالية، وتأسيس الأخلاق الجديدة المعقولة من خلال إقامة الأنشطة الاجتماعية. كما أن إقامة الأنشطة الاجتماعية مفيد لحرية الزواج، ينبغي أن تتّصل المرأة مع الرجل من خلال الموقف العادي والطبيعي. وهيئة الصيغة المناسبة لإقامة الأنشطة الاجتماعية أمام الجنسين وأفضلها من خلال الجامعة التي تجمع الطلاب والطالبات معاً. كانت جَين تشون لان هي الطالبة الأولى التي طلبت أن تدرس في الجامعة (والجامعة في ذلك الحين تقبل الطلاب فقط). أما وان لان فهي أول مَن دخلت إلى جامعة بكين[٢]. إن التخلّص من منع الطالبات من دخول الجامعة نتيجة مهمة في حركة الرابع من مايو، التي لديها معنى عصري في تاريخ تعليم المرأة الصينية. وحينما فتح باب الجامعة أصبح تياراً قوياً لتعليم المرأة العالي.

فالحركة النسوية الصينية، بلا شك، أحد المكوّنات المهمّة للحركة الديمقراطية الوطنية ضد الإمبراطورية والإقطاعية. لقد غيّرت المرأة الصينية حالتها الوجودية من خلال المشاركة في الحركة الوطنية، وتحقيق تحرير ذاتها من خلال التحرير القومي من جهة، والحصول على اهتمام بتقديم الفوائد الاجتماعية للمرأة مع تقوية قدراتها من خلال كفاحها النسوي من جهة أخرى.

---

[١]- Chinese Women Union ed. (1981), **Essays about Chinese Women during the May 4th Movement**, Beijing: Sanlien Press, p.643. (in Chinese)

[٢]- Liu ju tsai (1989), **The History of Modern Chinese Women's Movement**, Beijing: Chinese Women Press, p.437. (in Chinese)

الفصل الثاني

الأفكار النسوية عند سحر خليفة وأيلين جانغ

أولا: مسيرة سحر خليفة وأيلين جانغ الحياتية وتأثيرها على تكوين أفكارهما النسوية

١- مسيرة سحر خليفة الحياتية

ولدت سحر خليفة عام ١٩٤١ في نابلس بفلسطين، وهي البنت الرابعة من البنات الثماني ولها شقيق واحد فقط. أسرتها من العائلات الارستقراطية العريقة، والدها واحد من أغنى أغنياء المدينة، عمل وكدّ فامتلك ثروة واسعة مكنته من أن يحتلّ مكاناً مرموقاً بين الناس. درست في مدرسة الراهبات بالقدس لتتعلم بأكثر الطرق صرامة وشدة. تزوّجت زواجاً تقليدياً عام ١٩٥٩ وانتهى هذا الزواج بالطلاق بعد ثلاث عشرة سنة. بدأت حياتها الجديدة عام ١٩٧٣ مع دخولها جامعة بير زيت طالبة في قسم الأدب الإنجليزي الأمريكي، وأغرمت بأستاذها حينذاك لكن العلاقة انتهت بعد أربع سنوات. حصلت سحر على درجة البكالوريوس في الأدب الإنجليزي، ثم بذلت جهدها لعملها الأدبي. وفجأة التقت بحبها المراهق الأول لكنه كان متزوجاً. سافرت سحر إلى ولاية كارولينا الشمالية الأمريكية بعد حصولها على منحة الماجستير عام ١٩٨١، حصلت على درجة الماجستير في الأدب الإنجليزي والأمريكي. ثم التحقت بجامعة أيوا وأحبت كاتباً ألمانياً لكنه عاد إلى وطنه بعد معرفتها أنه كان متزوّجاً. فقامت سحر بالتحضير للدكتوراه بكل ما لديها من طاقة. بعد أمريكا، عادت سحر إلى عمّان، وحاولت العمل في الجامعة الأردنية لكنها لم تنجح في الحصول على عمل فعادت إلى نابلس. أقامت مركز الدراسات النسوية مع بعض صديقاتها في نابلس وشاركت في لقاءات ومؤتمرات نسوية متعددة.[١]

وفي الجدول التالي بيان لمسيرة حياتها:

الجدول الأول: مسيرة سحر خليفة الحياتية

العام	الأحداث	الأعمال	ملاحظات
١٩٤١	١/١٥ ولدت في نابلس.		هي الرابعة بعد ثلاث بنات سبقنها في المولد، فاستقبلت بالكثير من خيبة أمل العائلة.
١٩٤٨			نكبة فلسطين وأقام الكيان الإسرائيلي.
١٩٥٩	تخرّجت في مدرسة الراهبات الوردية الثانوية بالقدس. تزوّجت زواجاً تقليدياً.		
١٩٦٧	بدأت كتاباتها إثر احتلال إسرائيل.		تمخّضت حرب ١٩٦٧ عن استيلاء إسرائيل على الضفة الغربية وقطاع غزّة وشبه جزيرة سيناء وهضبة الجولان إثر احتلالها من الأردن، مصر، وسورية.

[١]- أنظر: سحر خليفة (١٩٨٨)، **قصتي: سرد ذاتي**، نسرين محمد عطا الشنابلة (١٩٩٣)، **روايات سحر خليفة**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية.

١٩٧٢	طلقت زوجها.		رأت أن لهذا الزواج إيجابيتين: أعطاها ابنتين رائعتين وجعلها تركّز طاقاتها في القراءة والرسم.
١٩٧٣	بدأت حياتها الجديدة وانضمّت إلى جامعة بير زيت.		أغرمت بأستاذها حينذاك لكن انتهت العلاقة بعد أربع سنوات.
١٩٧٤		لم نعد جواري لكم	
١٩٧٦		الصبّار	قابلت الشابّ اليساري وخاب أملها نهائياً.
١٩٧٧	تخرّجت في جامعة بير زيت وحصلت على بكالوريوس في الأدب الإنجليزي الأمريكي.		عملت في جامعة بير زيت مديرة للأنشطة الثقافية من ١٩٧٨ – ١٩٨٠ ومديرة لدائرة العلاقات العامة من ١٩٧٦ – ١٩٧٨ ورئيسة تحرير والمحررة المسؤولية عن مجلة "غدير" التي تصدرها الجامعة من ١٩٧٤ – ١٩٧٧.
١٩٨٠		عبّاد الشمس	التقت بحبها المراهق الأوّل لكنه كان متزوجاً.
١٩٨١	حصلت على منحة دراسية للماجستير من جامعة كارولينا الشمالية فسافرت إليها.		
١٩٨٣	تخرّجت في جامعة كارولينا الشمالية، وحصلت على درجة الماجستير في الأدب الإنجليزي الأمريكي.		أحبت كاتباً ألمانياً لكنه عاد إلى وطنه بعد معرفتها أنه كان متزوّجاً.
١٩٨٦		مذكّرات امرأة غير واقعية	
١٩٨٧			بدأت الانتفاضة الأولى من١٩٨٧– ١٩٩٣.
١٩٨٨	تخرّجت في جامعة أيوا. حصلت على درجة الدكتوراه في الدراسات النسوية والأدب النسوي الأمريكي.		بعد أميركا عادت إلى عمّان وحاولت العمل في الجامعة الأردنية، لكنها لم توفق فعادت إلى نابلس.
١٩٨٩	أسّست مركز الدراسات النسوية في نابلس.		يعنى المركز بدراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية.
١٩٩٠		باب الساحة	
١٩٩١			يصدر مركز الدراسات النسوية مجلّة فصلية تحمل اسم " شؤون المرأة " صدر عددها الأوّل.
١٩٩٣			وقعت إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية اتّفاقية أوسلوفي مدينة واشنطن الأمريكية.
١٩٩٧		الميراث	
٢٠٠٢		صورة وأيقونة وعهد قديم	
٢٠٠٤		ربيع حار	
٢٠٠٩		أصل وفصل	

※ مرجع المعلومات من سحر خليفة (١٩٨٨)، **قصتي: سرد ذاتي**، ضمن نسرين محمد عطا الشنابلة (١٩٩٣)، **روايات سحر خليفة**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية.

أ- تأثير تجربة سحر خليفة الذاتية على تكوين أفكارها النسوية

نصنّف الأحداث التي تؤثر في تكوين أفكار سحر خليفة النسوية كما يأتي:

أ- ١- ولادتها غير مرغوب بها - بنت في سلسلة البنات

على الرغم من أن الولادة مناسبة للفرح، إلا أن ولادة سحر لم تكن كذلك، تقبلتها العائلة بالكآبة. فقد واجهت سحر قضية المرأة الأولى منذ مولدها الحزين: "استقبلت الطفلة (أي سحر نفسها) بالكثير من خيبة الأمل، وصلت حدّ نشيج الأهل وبكائهم، فهي الرابعة بعد ثلاث بنات سبقنها في المولد... وكان الوالد يتوقّع ولداً ذكراً ليحمل اسمه ويرث ثروته وممتلكاته من بعده"[١]. وتتوالى خيبات الأمل ليصل قطيع البنات إلى ثمان، تكون سحر أوسطهن وهي الرابعة، تحمل ضياع وسطيتها فهي ليست من الكبريات اللواتي يقتربن من الأم، ولا هي من الصغيرات اللواتي قد تعطف عليهن الأمّ أحيانا[٢]. يملأ الجو الكئيب في العائلة المشؤومة بلعنة الأنثى، يشعر الأب كأنه صانع البنات، وتبكي الأم بكاء شديداً لأنها لم تنجب ولداً ذكراً فهي خائفة من الطلاق.

تحت تلك الحالة المعادية عرفت سحر قدرها وموقعها في هذه الحياة، تفهم أنها واحدة من الجنس العاجز عديم الفائدة، وقيل لها إنها يجب أن تتعلّم كيف تطيع الأوامر وتخضع للقوانين التي تغطي كل تفاصيل حياتها لاستعداد نفسها كامرأة واحدة[٣]. أما ولادة شقيقها الوحيد فهي على العكس تماماً، استقبل بكثير من الحفاوة والفرح لدرجة عالية[٤].

فقد وعت سحر منذ طفولتها أن الاختلافات بين الذكر والأنثى عنيفة في المجتمع العربي، لكنها لم تستسلم لهذا القدر المكتوب، بل أخذت هذه التجربة حافزا لتحقيق الذات وتدمير الخلل الاجتماعي. لم تخفّف هذه التجربة الملعونة وعيها الذاتي بل أسهمت في تطوير أفكارها النسوية.

---

[١]- نسرين محمد عطا الشنابلة (١٩٩٣)، **روايات سحر خليفة**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ص٢٠.

[٢]- المرجع السابق، ص٢٠- ٢١.

[٣]- سحر خليفة (١٩٨٨)، **قصتي: سرد ذاتي**، ضمن نسرين محمد عطا الشنابلة (١٩٩٣)، **روايات سحر خليفة**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ص ٢٤٤.

[٤]- نسرين محمد عطا الشنابلة (١٩٩٣)، **روايات سحر خليفة**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ص ٢١.

أ-٢- الزواج التعيس والحب الفاشل

تزوّجت سحر بعدما تخرّجت في المدرسة الثانوية زواجاً تقليدياً لتخفيف هموم العائلة على نضجها وجمالها وسلوكها الأكثر فظاظة. لكن هذا الزواج وفقاً لسحر قد "حطم قلبها"[٥]. فزوجها مقامر ومحتال مع أنه وسيم ومثقف وهو مصرفي ناجح. إن شهوته في المقامرة وجمع الأموال بطريقة غير قانونية قد جعلته يقسو على نفسه وعلى سحر وابنتيها الصغيرتين. كان يشكّ في كل ما يصدر عنها، لكنه لا يملك دليلاً واحداً ضدها، جنّ وأخذ يشرب الخمر كثيراً فأصبح بهيمة حقيقية. بعد ثلاث عشرة سنة من الصراع المتواصل تطلقه أخيراً، وتبدأ حياتها الجديدة في جامعة بير زيت.

وفي بير زيت تغرم بأستاذها طوال دراستها، تنظر إليه كأنه ربّها وهي تعبده. لكن يوماً ما تصحو وتجد أنها غبية، كان رجلاً عادياً وأنانياً يطلب منها العطاء لكنه لا يعطي شيئاً. بعد ذلك، تغرم برجل متزوّج فيجرفها الحب مرة أخرى، لكنه لم يأخذها طويلاً لاكتشاف الحقيقة: "كان يشعر بالملل من زواجه ويحتاج إلى بعض المتعة وأنا هذه المتعة"[١].

إن تجربة سحر في زواجها التعيس وحبّها الفاشل شجّعها على تعيين ذاتها والبحث عن معنى حياتها المتسمة بالفوضى. وتمكنت من التبصّر في البنية النفسية للمرأة العربية. أخذت تدرك أن العاطفة التي تتكوّن في أوائل الحياة لديها إمكانية محدودة لتغيّرات في المراحل التالية. لكن هذا لا يعني أن المرأة لا تملك الفرصة لتغيير حالتها المضطهدة، بل يجب أن تجد الوسيلة المعيّنة بالنسبة إليها.

ب – مؤثرات الوالدين في تكوين أفكار سحر خليفة نحو مفهوم الذكر والأنثى

ب – ١- صورة الأب: كائن أناني يستمتع بالحياة

كانت ولادة سحر خليفة، كما ذكرنا سابقاً، غير مباركة وكان أبوها يرقب الولد الذكر المأمول ليرث اسمه وماله، فهو"كئيب حزين لانتقاص رجولته وهو أبتر لا عقب له من الذكور"[٢]. فتشعر سحر من البداية أن الأب لا يرحّب بها مما يجعل العائلة لا تقبلها كذلك. لكنه واحد من أغنياء المدينة، فيحصل على احترام الناس ويستمتع بحياته بابتناء القصر الجميل والاستماع لإيقاعات الموسيقى الشرقية ويمتلك الثروة الواسعة.

---

[٥]- سحر خليفة (١٩٨٨)، **قصتي: سرد ذاتي**، نسرين محمد عطا الشنابلة (١٩٩٣)، **روايات سحر خليفة**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ص ٢٤٦.

[١]- سحر خليفة (١٩٨٨)، **قصتي: سرد ذاتي**، نسرين محمد عطا الشنابلة (١٩٩٣)، **روايات سحر خليفة**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ص ٢٥٥.

[٢]- نسرين محمد عطا الشنابلة (١٩٩٣)، **روايات سحر خليفة**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ص٢١.

ومما يغيّر نظرة سحر للحياة ترك الأب المنزل مغادرا مع فتاة شقراء صغيرة واتّخاذها زوجة ثانية. كانت تبذل كل جهدها لإبقاء والدها لكنها فشلت. ردّ الأب على سحر: "لا أريد أن أموت دون أي ابن وارث اسمي"[٣]. كرهت سحر جنسها الأنثى أكثر في ذلك الحين، وتمنّت أن تكون رجلا لكي تضرب أباها ضرباً شديداً، ولن تسامحه حتى موته بسبب هذا القول، ولا تريد أن تكتب اسمه في اسمها المتوسّط بعدما تصبح مشهورة.

إن الأب في نظرة سحر أناني لا يهتمّ بإعانتها أو إعانة أمّها بل يفكّر في نفسه ويهتمّ بعزّه وجاهه ومتعة الحياة فقط، لكن نرى أنها ما زالت تحبّه أو قد تشفق عليه لأنه ناقص، لا يستطيع الأفعال التمردية ضد قيمة المجتمع وإصلاح عيوبه النفسية.

ب – ٢– صورة الأم: شفقة ذاتية تعاني الحياة

كانت العلاقة بين سحر وبين أمّها ليست على ما يرام، فهي ترى أن أمها تكرهها فبادلتها الكره "بطريقة ما كرهتني لاكتشافي أسرارها، وأنا في المقابل كرهتها لعدم تقبلها لي، اتهمتها بالنفاق والقسوة، مباشرة في وجهها ألقيت بكل ما شهرت به، 'أنت بدون قلب' كنت أصرخ 'أنت لست أماً حقيقية'"[١]. رأت أم سحر أن إنجابها ثماني بنات ذنبها العظيم، فكون خوفها من أن يتزوّج أبو سحر واحدة أخرى تنجب له الذكور. على الرغم من أنها كانت جميلة وأنيقة ومحترمة بين الناس، فهذا الذنب ينقص كل قيمتها.

ولكن بعدما اتّخذ والدها زوجة أخرى، بدأت سحر تشفق على أمّها، تفهم ألمها الحاضر وألمها الماضي. تدرك أن الأم ضحية، وهي وأخواتها كذلك. تكتشف من ذات أمّها المعانة مصيرها النهائي، ومصير كل النساء العربيات كذلك.[٢]

ولا تشبه الأمّ أباها الذي عاش عيشة سهلة وحرّة، تعاني الكثير من الاضطهاد الاجتماعي ومراقبات الناس لها. فتشاهد سحر من حالات أمّها مواقع الأنثى الصعبة مما يحفزها على النضال النفسي والمقاومة الخارجية.

٢– مسيرة أيلين جانغ الحياتية

ولدت أيلين جانغ Eileen Chang في شانغ هاي Shanghai عام ١٩٢٠ وتوفّيت في كاليفورنيا California عام ١٩٩٥. كان جدّها Chang Peilun (張佩綸) وزيراً مهماً مشهوراً في أواخر سلالة تشين وجدتها ابنة Lee Honchang (李鴻章) (وهو قائد عظيم في أواخر تشين)

---

[٣]– سحر خليفة (١٩٨٨)، **قصتي: سرد ذاتي**، نسرين محمد عطا الشنابلة (١٩٩٣)، **روايات سحر خليفة**،، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ص٢٤٨ – ٢٤٩.

[١]– نسرين محمد عطا الشنابلة (١٩٩٣)، **روايات سحر خليفة**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ص ٢٢.

[٢]– أنظر: سحر خليفة (١٩٨٨)، **قصتي: سرد ذاتي**، نسرين محمد عطا الشنابلة (١٩٩٣)، **روايات سحر خليفة**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ص ٢٤٩.

الأولى. فقد ورث والدها (張志沂) Chang Jiyi العائلة التي تكون في النظام الإقطاعي التقليدي. أما والدتها (黃素瓊) Huang Suqin فهي امرأة متحررة، كانت تسافر وتدرس في بريطانيا مع عمة أيلين (張茂淵) Chang Maoyuan. هكذا نضجت أيلين جانغ في العائلة التقليدية الصينية لكن مع مؤثرات الأفكار الغربية أيضا.

درست في جامعة هونغ كونغ عام ١٩٣٩، من ثمّ رجعت إلى شانغ هاي بعدما سقطت هونغ كونغ في أيدي اليابان عام ١٩٤٢. نشرت رواياتها العديدة أثناء عام ١٩٤٣ – ١٩٤٥ وأصبحت مشهورة بعد ذلك. بالإضافة إلى هذا، تتزوّج بـــ (胡蘭成) Hu Lanchen عام ١٩٤٤، ولكن تطلق معه عام ١٩٤٧. تنطلق من شانغ هاي إلى هونغ كونغ عام ١٩٥٢، من ثمّ تسافر إلى أمريكا وتسكن في نيويورك عام ١٩٥٥. تتزوج بكاتب السيناريو الأمريكي Ferdinand Reyher عام ١٩٥٦. توفي Reyher عام ١٩٦٧. تنتقل أيلين إلى كاليفورنيا ١٩٦٩ للعمل في جامعة بيركلي University of California, Berkeley، وتقيم في لوس أنجلوس عام ١٩٧٣. وقد وُجدت ميتة في شقتها عام ١٩٩٥.[١]

ونصنّف روايات أيلين إلى ثلاث مراحل بالترتيب الزمني: الأولى من عام ١٩٤٢ – ١٩٤٥ (من خلال الحرب بين الصين واليابان) وقد ازدهرت رواياتها في هذه المرحلة (بلغ عددها أكثر من خمس عشرة رواية). والثانية من عام ١٩٥٠ – ١٩٥٤ (من خلال سيطرة الحزب الشيوعي على الصين) كتبت أربع روايات في هذه المرحلة ومنها اثنتان ضد الحزب الشيوعي الصيني. والثالثة من عام ١٩٥٥ – ١٩٧٨ (من خلال عيشتها في أمريكا) ومعظم الروايات التي كتبتها في هذه المرحلة المتأخرة هي تغيير وتجديد لرواياتها المبكّرة.

وعلى الرغم من أن معظم روايات أيلين جانغ قد كُتبت في فترة الحرب بين الصين واليابان، إلا أن الحرب الدولية أو المقاومة القومية ليست قضية محورية في أعمالها، أما القضية أو القضايا التي اهتمّت بها فهي العلاقات المعقدة بين الإنسان بشكل عام، وقضايا المرأة الصينية التي تكون في العائلة التقليدية تحت النظام الإقطاعي البطريركي بشكل خاص. فالمواضيع في رواياتها قد ركّزت كثيراً على العائلة والزواج ضمن هيكل المجتمع الصيني، والحب والحرية التي ترغبها ذات المرأة الصينية. والشخصيات الرئيسية في روايات أيلين دائماً تكون من أنواع النساء المتنوّعة مثل المرأة المحظية والمرأة ما قبل الزواج وبعد الزواج والتي بعد الطلاق، والمرأة الاجتماعية كفراشة تطير في حفلة الأنس، وموقع البنت في سلسلة البنات إلخ.

---

[١]– أنظر: تلخيص حياة أيلين جانغ من لي بين بين، الملحق الثاني، ضمن جانغ زي جين (٢٠٠٥)، **أختي أيلين جانغ**، تايبيه: إينك للنشر.

الجدول الثاني: مسيرة أيلين جانغ الحياتية

العام	الأحداث	الأعمال	ملاحظات
١٩٢٠	٣٠/ ٩ ولدت في شانغ هاي.		اسمها الأصلي جانغ ييِن.
١٩٢٢	انتقلت إلى تاين جين بسبب عمل والدها الجديد.		
١٩٢٤	بدأت تربيتها سي شو، أي التربية الصينية التقليدية.		
١٩٢٥	سافرت والدتها مع عمّتها إلى بريطانيا للدراسة.		بعدما سافرت والدتها فأسكن والدها عشيقته في البيت.
١٩٢٨	رجعت والدتها ورجعت العائلة إلى شانغ هاي.		
١٩٣٠	انفصل والداها، عاشت مع والدها.		غيرت اسمها بأيلين تسهيلا لدراستها في المدرسة الثانوية الأمريكية.
١٩٣١	دخلت المدرسة ثانوية سان مارية.		
١٩٣٢	نشرت قصتها الأولى في مجلّة المدرسة.	بو شين د تا	
١٩٣٣	نشرت مقالتها الأولى في مجلّة المدرسة.	تشي مو	
١٩٣٧	تخرّجت في المدرسة الثانوية.		
١٩٣٨	تشاجرت مع والدها وزوجته فتركت بيت والدها وعاشت مع والدتها.		
١٩٣٩	حصلت على منحة دراسية لجامعة لوندون، لكن لم تسافر إليها بسبب بدء الحرب العالمية الثانية.ثم حصلت على القبول للدراسة في جامعة هونغ كونغ.		بدأت الحرب العالمية الثانية.
١٩٤١	توقفت دراستها بسبب الحرب.		بدأت حرب المحيط الهادي.
١٩٤٢	بدأت كتابتها المزدهرة.		كانت تسكن بجانب شقة عمّتها.
١٩٤٣ ١٩٤٣	حصلت على إعجاب الكاتب المشهور جو شو جوان فنشرت رواياتها القصيرة والمتوسّطة فزادت شهرتها في شانغ هاي.	شين شان شاي دي اي لو شان دي ار لو شان تشين تشين جي لاين شين جين جين سو جي مو لي شان بين ليو لي وا فون سو	
١٩٤٤	تزوّجت هُولان تشين.	لين هوان تاو هون مي قوي يو بي مي قوي هوا دياو تشوان تشي	خان هولان تشين أيلين.
١٩٤٥		تشان شي جي قوقو يو لو ليو تشين وا كان سو تشين	هزمت الصين اليابان.
١٩٤٧	طلّقت هُولان تشين.	دو شاو هين هوا لي يوان	كان موقف هولان تشين السياسي يميل إلى اليابان، فهرب بعد هزيمة اليابان.

١٩٤٩		شي با تشون شايو أي	انتقلت سلطة في شانغ هاي من الحزب الوطني إلى الحزب الشيوعي.
١٩٥٢	انتقلت إلى هونغ كونغ وكتبت الروايتين في انتقاد الحزب الشيوعي.	يان ق تشي دي جي لين	
١٩٥٣			توقي والدها في شانغ هاي.
١٩٥٥	سافرت إلى أميريكا وأقامت فيها.		
١٩٥٦	تزوّجت Ferdinand Reyher في نيويورك.		Ferdinand Reyher كاتب السيناريو الأمريكي.
١٩٥٧			توقيت والدتها في لوندون.
١٩٦٠	أصبحت مواطنة أمريكية.		
١٩٦١	سافرت إلى تايوان.		
١٩٦٦		يوان نوي	اسم الرواية "المرأة الممتعضة".
١٩٦٧	بدأت ترجمة هاي شان هوا لي جوان إلى اللغة الإنجليزية.		توقي زوجها Ferdinand Reyher.
١٩٦٨		جان اين لين دون بين شيو شو جي بان شان يوان	
١٩٦٩	انتقلت إلى كاليفورنيا وعملت في جامعة بيركيلي.	هون لو مون وي وان	
١٩٧٣	استقرّت في لوس أنجلوس ولم تخرج من البيت إلا مرات قليلة.		
١٩٧٥	أكملت ترجمة هاي شان هوا لي جوان.	هاي شان هوا لي جوان	ترجمة هاي شان هوا لي جوان: The Sing-song Girls of Shanghai.
١٩٧٦		جان كان	
١٩٧٧		هون لو مون يان	
١٩٧٩		سا جاي	
١٩٨٣		وان ران جي	
١٩٩١		جان اي لين تشون جي داين تسان بان	توقيت عمّتها في شانغ هاي.
١٩٩٤	نشرت سيرتها الذاتية المصوّرة.	دوي جاو جي	
١٩٩٥	توقيت في لوس أنجلوس.		وُجدت ميتة في شقتها.

※ مرجع المعلومات من لي يين بين، الملحق الثاني، ضمن جانغ زي جين (٢٠٠٥)، **أختي أيلين جانغ**، تايبيه: إينك للنشر.

أ- أثر تجربة أيلين جانغ الذاتية في تكوين أفكارها النسوية

أ- ١- الطفولة المصيبة

تشكل فهم أيلين لهويتها النسوية من خلال تجربتها الحياتية، وتطوّرت أفكارها نحو المساواة بين الجنسين والوعي الذاتي النسوي ونبتت في قلبها مبكّراً. كانت تعبّر عن استيائها من

موقف خادمة شقيقها المتكبّر وموقف خادمتها المتواضع في نثرها تقول: "لا أستطيع أن أصبر على نظرتها (خادمة شقيقها) المهتمّة بالذكر وتصغير الأنثى، أتشاجر معها دائماً"[١]. هذه التجربة ضد تعظيم الذكر وتصغير الأنثى قد جعلتها تعي مسألة تبعية المرأة منذ طفولتها. تقول: "قد فكّرت في مسألة المساواة بين الجنسين مبكّراً، عزمت على التعزيز والتقوية، يجب أن أفوز على شقيقي"[٢]. هكذا يتأثّر احترامها النفسي وإيقاظ وعيها الذاتي في تكوين أفكارها ضد القوة الأبوية شديداً وقوياً، كما تعبّر عنه في كتاباتها ويشكّل قاعدة لأفكارها المهمة.

كانت العلاقة بين والديها سيئة فقضت طفولتها بالاستماع لشجارهما الدائم حتى نرى أنها فقدت عائلتها في وقت مبكّر[٣]. وفي فترة بقائها مع أبيها وبسبب تشاجرها مع زوجته، كادت تموت في ذلك الحين تتذكّر: "أعرف أنه لا يمكن أن يقتلني، لكن بعد سنوات من القيود، سأصبح غير ذاتي. قد عجزتُ كثيراً أثناء الأسابيع، أتمسّك بدرابزين الشرفة الخشبي بشدّة، كاد يخرج منه الماء. والسماء الزرقاء فوق رأسي"[٤].

أ- ٢- الزواج والحب التعيس

استمرّ زواج أيلين الأول مدّة ثلاث سنوات فقط، كان زوجها حبّها الأول وهو الكاتب الذي يميل موقفه السياسي إلى اليابان. لكنها لم تهتمّ بموقفه السياسي وسمعته السيئة وهو متزوّج. بغضّ النظر عن كل هذه الحالات، فقد أغرمت أيلين به وتزوّجته سرّاً بعد أن طلق زوجته. كانت تكتب خلف الصورة (وهي هدية لزوجها): "عندما تشاهده فينخفض رأسها – حتى يكون في التراب – لكنها سعيدة داخل قلبها، فينبت من التراب أزهار"[٥]. بعد أقلّ من نصف السنة، خانها زوجها وأغرم بشابّة أخرى. لكنها لم تتركه ودعمته بالأموال لتساعده على الهروب لأنه مطلوب للحكومة الوطنية بعد هزيمة اليابان في الحرب اليابانية الصينية الثانية. وأثناء هروبه أحبّ امرأة أخرى. فعزمت أيلين على طلاقه بعد سفرها لمقابلته الأخيرة. تقول: "قد فكّرت، إذا من الضروري أن أتركك، فلا أنتحر لكنني لن أحبّ أي شخص آخر، بل أذبل فحسب"[١].

بعد خيانة زوجها وحبّها المرّ، أصبحت أكثر انطوائية. لكن هذه التجربة زادت من فهمها لنفسية المرأة المعقّدة وكيفية التعبير عن عواطفها المكبوتة ونسيج الحريم الذي يتكوّن من العلاقات

---

[١]- أيلين جانغ (١٩٩١)، **النميمة**، تايبيه: التاج للنشر، ص ١٥٦.
[٢]- المرجع السابق.
[٣]- لين شين تشيَن (٢٠٠٠)، **أيلين جانغ ــ المرأة ذاتها والكتابة المَخْصِية**، تايبيه: ورق حمراء للنشر، ص٢٦٥.
[٤]- المرجع الأول، ص ١٦٥.
[٥]- هُولان تشين (٢٠٠٣)، **هذه الحياة**، بكين: علم الاجتماع الصيني للنشر، ص ١٤٦.
[١]- هُولان تشين (٢٠٠٣)، **هذه الحياة**، بكين: علم الاجتماع الصيني للنشر، ص ٢٤٦.

المركّبة بين النساء أنفسهن. يمكن أن نكشف هذه الخصوصيات في أعمالها المتأخّرة فبعضها تغيير لرواياتها السابقة وتجديد لها خاصة في تقوية الوصف للعلاقات النسائية[٢].

ب – مؤثرات الوالدين في تكوين أفكار أيلين جانغ نحو مفهوم الذكر والأنثى

ب –١– صورة الأب: الشرّ والظلمة والشيطانية

يمكن أن نكتشف صورة الأب في نظرة أيلين جانغ من خلال قولها التالي: "انفصل العالم إلى عالمين – ضوء وظلام، خير وشرّ، إلهي وشيطاني، أما الذي ينتمي إلى والدي فهو سيء بالضبط"[٣]. لا يعبّر هذا القول عن صورة الأب في نظر أيلين فقط، بل يؤكّد نظرتها لصورة الذكر في رواياتها أيضاً، فالشخصية الذكرية في أعمالها دائماً دون قيمة، وهو إما ضعيف نفسياً وإما معاق جسدياً. مثل البطل "شِي جون" في روايتها "نصف الحياة المكتوب"، قد جعل تردّده وضعفه النفسي حياة البطلة المصيبة[٤]، أما زوج البطلة في روايتها الأخرى "المرأة الممتعضة" فهو معاق وأعمى ولا يملك شيئاً إلا مسبحته الجوزية، وحتى هذه المسبحة تنكسر على يد البطلة فيما بعد[٥].

وقد انسحب استياؤها وحقدها وسخريتها من الأب على كتاباتها الروائية، فتقف موقف الناطقة والقائدة للهجوم على الأب والذكور الذين يرمزون إلى ظلم النظام البطريركي. بناء على هذا الموقف الأساسي، تملك كتابة أيلين معنى الكتابة الأنثوية وهي مناضلة الأب الذي يرمز إلى الظلام والشرّ والشيطان، والسخرية وانقلاب نظام المجتمع البطريركي الذي يستند إليه. لا قوة الارتداد بدون قوة الاضطهاد، كتابة أيلين هي نوع من التكملة، التكملة لرغباتها المكبوتة منذ طفولتها المصيبة.

بـــ – ٢– صورة الأمّ: تحقيق الذات والوعي النسوي

وكما أسلفنا في الفصل الأول، فإن إيقاظ الوعي النسوي لدى النساء الصينيات كان من خلال حركة وي شين وثورة شين هاي وحركة الرابع من مايو، مما يكّون أحد الأفكار الاجتماعية في الصين. أما أمّ أيلين جانغ فهي المرأة الجديدة التي تنمو في هذا التيار الفكري العظيم، كانت تترك العائلة وتسافر إلى بريطانيا بسبب استيائها من زوجها. وتصرّ على انتقال أيلين إلى المدرسة حيث التعليم الجديد، بغض النظر عن رفض زوجها لذلك. نرى أن نضال أيلين ضد النظام الأبوي مكتوب منذ تلك المرحلة.

---

[٢]– مثل "المرأة الممتعضة" توسيع لرواية "القيد الذهبي".
[٣]– أيلين جانغ (١٩٩١)، **النميمة**، تايبيه: التاج للنشر، ص ١٦٢.
[٤]– كانت البطلة مقيدة بزوج أختها وتنتظر إلى البطل لإنقاذها من بيت أختها لكنه لم يأت.
[٥]– كانت البطلة غاضبة من زوجها فتكسر مسبحته الجوزية.

وبلا شكّ، فقد أثّر موقف أم أيلين من الحياة، وأفكارها الإيجابية، على تكوين أفكار أيلين تأثيراً عميقاً، أما المرأة الأخرى التي تأثّرت بها فهي عمّتها التي كانت واحدة من النساء الجديدات تسافر مع أمّها إلى بريطانيا من ثمّ تترك العائلة أيضاً. عندما تهرب أيلين من بيت أبيها، تتّجه إلى بيت أمّها وعمّتها مباشرةً. على الرغم من أن معظم الشخصيات النسائية في رواياتها تابعة للرجال اقتصادياً، هناك الشخصيات التي حصلت على استقلال ذاتي أيضاً، مثل البطلة "مان جين" في الرواية "نصف الحياة المكتوب" و"جاي إين" في الرواية "كم حقداً"[١]. ونستطيع القول إنّ تجربة أمّها وعمّتها مثّلت صورة المرأة الجديدة في كتابتها الأنثوية لتحقيق الذات وإيقاظ الوعي النسوي.

ثانيا: حالة فلسطين والصين العصرية في ذلك الحين وتأثيرها في تكوين أفكارهما النسوية

تناولنا الحركة النسوية في فلسطين والصين التي تتعلّق كثيراً بالحالة العصرية في ذلك الحين في نهاية الفصل السابق، ونركّز هنا على تأثيراتها في تكوين أفكارهما النسوية. فعلى كل حال، فإن العصر الذي تعيش فيه سحر وأيلين سواء في فلسطين أو في الصين هو العصر المضطرب.

ونبيّنه في الجدول التالي بالتفصيل:

الجدول الثالث: حالة فلسطين السياسية المعاصرة (الضفة الغربية وقطاع غزة نموذجاً)

العام	الحروب /الأحداث	الضفة الغربية	قطاع غزة	ملاحظات
١٩١٤	بدأت الحرب العالمية الأولى.			
١٩١٧	احتلّ الجيش البريطاني القادم من مصر منطقة فلسطين.			وعد بلفور. أشار فيه إلى تأييد الحكومة البريطانية لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.
١٩٢٠				قرار عصبة الأمم في مؤتمر سان ريمو.
١٩٢٢	قام الانتداب البريطاني على فلسطين بموجب قرار عصبة الأمم في مؤتمر سان ريمو.	الانتداب البريطاني	الانتداب البريطاني.	

[١]- أنظر: لين شين تشيَن (٢٠٠٠)، **أيلين جانغ ــ المرأة ذاتها والكتابة المَخْصِية**، تايبيه: ورق حمراء للنشر، ص ٢٦٤.

١٩٣٦	بدأت الثورة الفلسطينية الكبرى حتى عام ١٩٣٩.			
١٩٣٩	بدأت الحرب العالمية الثانية.			
١٩٤٥	انتهت الحرب العالمية الثانية.			تصاعدت حدّة هجمات الجماعات الصهيونية على القوات البريطانية في فلسطين، مما حدا ببريطانيا إلى إحالة المشكلة الفلسطينية إلى الأمم المتحدة.
١٩٤٧	قامت الجمعية العامة التابعة لهيئة الأمم المتحدة بالموافقة على قرار خطة تقسيم فلسطين.		كانت غزة ضمن المنطقة العربية.	قضت بإنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وتقسيم أراضيه إلى ثلاثة كيانات جديدة، أي تأسيس دولة عربية وأخرى يهودية على تراب فلسطين وأن تقع مدينتا القدس وبيت لحم في منطقة خاصة تحت الوصاية الدولية.
١٩٤٨	بدأت حرب ١٩٤٨. نكبة فلسطين وإقامة الكيان الإسرائيلي.	احتفظ الجيش الأردني بأراضي بالضفة الغربية.	دخلت القوات المصرية غزة والمنطقة المحيطة بها.	نشبت الحرب في فلسطين بين كل من المملكة المصرية والمملكة الأردنية ومملكة العراق وسورية ولبنان والمملكة السعودية ضد المليشيات الصهيونية المسلحة في فلسطين.
١٩٥٦	بدأت حرب العدوان الثلاثي.			وقعت أحداثها في مصر وكانت الدول التي اعتدت عليها هي بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على أثر قيام جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس.
١٩٦٤	تأسّست منظمة التحرير الفلسطينية.			منظمة سياسية شبه عسكرية، معترف بها في الأمم المتحدة والجامعة العربية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني داخل وخارج فلسطين.
١٩٦٧	بدأت حرب الأيام الستة.	محتلّة من إسرائيل.	محتلّة من إسرائيل.	انتهت بانتصار إسرائيل واستيلائها على الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء وهضبة الجولان.
١٩٦٩				ترأس ياسرعرفات منظمة التحرير الفلسطينية.

١٩٨٧	بدأت الانتفاضة الأولى حتى عام ١٩٩٣.			كانت هذه الانتفاضة سبباً في نشوء ضغوط دولية على إسرائيل.
١٩٨٨	فكّ الارتباط الأردني مع الضفة الغربية.			
١٩٩٣	وقعت إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية اتّفاقية أوسلو. أنشئت السلطة الوطنية الفلسطينية.			نصّت الاتفاقية على إقامة حكومة ذاتية انتقالية فلسطينية، ومجلس تشريعي منتخب للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة.
١٩٩٤	قيام حكم ذاتي فلسطيني محدود في غزة ومناطق معينة من الضفة الغربية.			
١٩٩٦	أقيمت الانتخابات الرئاسية الأولى للسلطة الوطنية الفلسطينية.			فاز بها ياسرعرفات على منافسته الوحيدة سميحة خليل.
٢٠٠٠	بدأت انتفاضة الأقصى.			
٢٠٠٥			إعادة انتشار الجيش الإسرائيلي من قطاع غزة وبقاء غزة محاصرة وتحت السيطرة الإسرائيلية.	
٢٠٠٧	بدأت معركة غزة بين فتح وحماس.		بدأ حكم حماس على قطاع غزة.	منذ ذلك الحين تسيطر حكومتان فلسطينيتان: إحداهما برئاسة حماس في قطاع غزة والأخرى برئاسة فتح في الضفة الغربية.
٢٠٠٨			بدأت إسرائيل حملة عسكرية على قطاع غزة.	

※ مرجع المعلومات من حسين شريف (٢٠٠٣)، **فلسطين من فجر التاريخ إلى انتفاضة الأقصى وتوابعها**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١- تأثير حالة فلسطين العصرية على تكوين أفكار سحر خليفة النسوية

ولدت سحر خليفة قبل نكبة ١٩٤٨ بسبع سنوات، فكبرت تفتحها على الواقع السياسي المهزوم الذي يتجلّى بالحقيقة الملموسة في بؤس اللاجئين الذين يُشردون من بيوتهم المحتلّة، وما تبعها من تطوّرات وتغيّرات عصفت بفلسطين حتى العالم العربي كله، من ثمّ الاحتلال بعد حرب ١٩٦٧ وما يليه الانتفاضة الأولى من عام ١٩٨٧ حتى ١٩٩٣ بعد توقيع اتّفاقية أوسلو.

وتكتب في سيرتها الذاتية أن ثلاثة أحداث مرّت بها قد غيّرت نظرتها للحياة، فأحدها هو هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ واحتلال العدو الصهيوني لما تبقّى من أرض فلسطين[١]. ترى سحر أن الهزيمة السياسية كانت انعكاسا ونتيجة طبيعية لهزيمة العرب الثقافية والحضارية، وجعلتها تدرك الثمرة الأخيرة لقيم العرب المريضة. تعتقد أن الانتصار قد يبدأ من إصلاح الأمراض الداخلية أي إعادة تقييم قيم العرب الاجتماعية وبناهم الاجتماعية ونظام العائلة ونظام التعليم وكل المؤثرات في المواطن من المهد إلى اللحد. لا يمكن أن ينتصر الفرد المهزوم من داخله[٢]. والهزيمة لها طعم مرّ: "أيّ رعب ذقناه في تلك الأيامّ! أي كابوس، أي خجل! والهزيمة على كل المستويات. المستوى العربي عسكرياً، المستوى الاجتماعي محلياً، مستوى الفئات الموسرة النتنة في بخلها وأنانيتها، ومستوى الجموع البائسة في جوعها وجهلها"[٣]. تواجه سحر الهزيمة وتضعها في الحياة اليومية المنكسرة، تهتمّ بهموم الناس المتزايدة، وأخذت تكتب رواياتها بانتظام. وأثناء عملها في كتابة "الصبار"، كانت تقابل الشابّ اليساري وتتأثر بكلامه وأفكاره لتغيير المجتمع، لكنها تجد أخيراً أن هذه النظريات مجرّد كلمات دون ممارسات حقيقية. فهي تتّفق معه فكرياً ومنهجاً، وترفضه تنظيماً، فهي ترى تناقضاً بين رحابة فكر اليسار وبين أساليبه التنظيمية التي تحدّ من قدرات الفرد المبدع[١].

على الرغم من كل هذه الاكتشافات، عزمت سحر على المشاركة في المعركة الجديدة وهي الكتابة عن قيادة الذكور الفلسطينيين. فأخذت تجمع المعلومات: بعدما تقابل أكثر من خمسين من الرجال المثقفين والمتحرّرين، تقابل زوجاتهم وصديقاتهم أيضا، كما تقابل بعض

---

[١]- أنظر: سحر خليفة (١٩٨٨)، **قصتي: سرد ذاتي**، نسرين محمد عطا الشنابلة (١٩٩٣)، **روايات سحر خليفة**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ص ٢٤٨.

[٢]- أنظر: المرجع السابق، ص ٢٤٩.

[٣]- سحر خليفة (١٩٧٧)، بل أمر وأقسى، **مجلة الجديد الحيفاوية**، عدد (١١، ١٢)، اقتباس من نسرين محمد عطا الشنابلة (١٩٩٣)، **روايات سحر خليفة**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ص ٢٥ – ٢٦.

[١]- نسرين محمد عطا الشنابلة (١٩٩٣)، **روايات سحر خليفة**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ص ٢٤.

النساء النشيطات الاجتماعيات. لكنها خائبة الأمل، لأنها تجد نفس القصة المتردّدة بل من الشكل الجديد. تجد أن التغيّرات التي كانت تثق بها مجرّد تكرارات للجيل القديم لكنها تظهر بالسطح الحديث. ترى أن القواد الفلسطينيين مدلّلون محزنون، والقائدات الفلسطينيات ضئيلات دون وعي، وثورتهم عقيمة وفارغة لأنها تنقص المحتوى الاجتماعي. كل شيء تنظر إليه أو تكشف عنه قد يزيد من خوفها على العرب، ليس معهم الأمل وهم محكومون سيكونون مهزومين مرة بعد مرة، إنها تجربة تعيسة[٢]. وترى أن "الاستناد إلى مقولات ومعادلات فكرية وسياسية جاهزة، دوّنت هنا أو دوّنت هناك، ما عادت مقبولة الآن... حتى ماركس أعدنا نبش قبره، وبدأنا بمراجعة ومقارنة ما أتى به من قرارات واستشراقات"[٣].

فيبرز اهتمام سحر بحالة وطنها العصرية في أعمالها الروائية وخاصة "الصبار" و"عباد الشمس" اللتين تبحثان في القضية الوطنية الفلسطينية بعد هزيمة ١٩٦٧. وتدور وقائع الروايتين بعد سنوات قليلة من الاحتلال الصهيوني للضفة الغربية وخاصة في مدينة نابلس وهي بلدة سحر نفسها. إن الاحتلال والمعاناة والمقاومة هي الدعامات الثلاث التي تنهض عليها الرواية، لكن هناك خطوط قضية المرأة داخل هذا النسيج العام أيضاً[٤]، فالمقاومة الوطنية تبدأ من المقاومة الأنثوية[٥]، والمهمّ هو ليس المقاومة نفسها بل كيف يقاوم وتقاوم. لم تعطنا الجواب مباشراً لكنها تقدّم لنا كيفية نضال النساء الفلسطينيات بطرقهن الخاصة. كما تصف في بداية الصبار أن هناك شابة صغيرة كانت في التفتيش عند جنود الاحتلال وهي تضع رسالة سرية بالشيفرة في شعرها للقيام بعمليات فدائية، لساعات طويلة ظلت تضرب لكنها ظلت تكرّر عبارة واحدة – "يا كلاب، يا كلاب، يا كلاب..."[١]. وشخصية أخرى اسمها لينة تنتمي إلى أحد التنظيمات وتسجن كذلك، وصديقتها نوار التي تقع في منتصف المسافة بين المرأة التقليدية وبين المرأة المتمرّدة المندفعة كانت تقول: "لن أتزوّج إلا من صالح، ولن أرى أي رجل آخر، لا عبد ربه ولا أي عبد آخر"[٢]. إن الروائية سحر التي آلت على تصوير واقع الحياة في الأرض المحتلة لم تنس قضيتها الخاصة

---

[٢]– أنظر: سحر خليفة (١٩٨٨)، **قصتي: سرد ذاتي**، نسرين محمد عطا الشنابلة (١٩٩٣)، **روايات سحر خليفة**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ص ٢٥٤.

[٣]– ناهض حتر (١٩٩٢)، **سحر خليفة: أكتب عن الهنا والآن ومن داخلها**، حوار، مجلة الأفق، عدد (٣) ١٣-١٩/٥/١٩٩٢، ص ٤٧.

[٤]– أنظر: نزيه أبو نضال (٢٠٠٤)، **تمرّد الأنثى في رواية المرأة العربية وببلوغرافيا الرواية النسوية العربية (١٨٨٥-٢٠٠٤)**، ط١، عمان: دار الفارس، ص ١١٣.

[٥]– "قضية المرأة جزء أساسي من قضية الوطن"، أنظر: أسامة شهاب (٢٠٠٤)، **القصة النسوية المعاصرة في الأردن وفلسطين ١٩٤٨– ١٩٨٨**، ط١، عمان: وزارة الثقافة، ص٣٢٥.

[١]– أنظر: سحر خليفة (١٩٩٩)، **الصبّار**، ط٢، بيروت: منشورات دار الآداب، ص ١٢-٢٠.

[٢]– سحر خليفة (١٩٩٩)، **الصبّار**، ط٢، بيروت: منشورات دار الآداب، ص ١٧٠.

في الدفاع عن المرأة[٣]. فتحرّر الوطن من تحرّر المرأة، كل منهن قد اختارت سبيلها المعيّن للنضال والمقاومة إما في المشاركة الفدائية وإما في تحقيق نفسها.

بالإضافة إلى الهزيمة، وضعت سحر قضية الانتفاضة ومؤثرات اتفاقية أوسلو على الشعب الفلسطيني في روايتها "باب الساحة" و"الميراث". ترى أن الانتفاضة قد بيّنت لها درجة الحرب التدميرية، وتعرض الجهة الأسوأ عند الفلسطينيين تقول: "يرى العالم أننا مقاومون حيّويون لتحرّر الوطن لكن هذا هو رؤية سطحية. أثناء الأزمة قد أخذ الشباب غير المنظّم بالطرق التي ليست للتحرّر ولا في اهتمام الوطن. جعلوهم كحاكمين لحياة الآخرين، يمثّلون الشرطة والمحكمة، يُبيدون الناس الذين يزعمونهم كالخائنين"[٤]. كما تزيد: "تكون النساء في كل مكان أثناء الانتفاضة، يرفعن أصواتهن في الشوارع عندما يسجنون القواد الذكور. فأصبحت النساء القائدات في المجتمع الفلسطيني من جهة سياسية". وترى أن نتيجة الانتفاضة الأخرى هي تقوية الأصوليين. مرّة ما قالت: "يحجّبونها ويصغّرونها" فتغضب الأصوليين ويعلّقون ضدّ سحر من خلال خطبة الجمعة في المسجد الأقصى أن لا بدّ من توقفها كما يدّعون في المسجدين بنابلس مما يخيفها كثيراً[٥]. أما بالنسبة إلى اتفاقية أوسلو فترى أنها مؤامرة فاسدة وكذب ومهزلة جعلت الفلسطينيين يعانون أكثر من المصادرات للأرض والوطن. تقول: "كنا نعرف من أي الطريق نتّجه إليه أثناء الاحتلال – يجب أن نقاوم. لكن الآن (بعد اتفاقية أوسلو) نناقش بل لا نرفع أصواتنا لأن السلطة الفلسطينية قد تعاقبنا بسبب ذلك"[٦]. بعدما تشاهد كيفية توجه السلطة الفلسطينية من خلال اتّفاقية أوسلو، تشعر سحر أن أملها قد يتلاشى، وهي تشاؤمية لن تشاهد أي ضوء في فلسطين أثناء حياتها الحاضرة. لكنها لم تتخلّ عن الكتابات في مثل هذه المواضيع، ولنقل إن الكتابة هي السبيل الذي تختاره سحر للنضال والمقاومة كما تختار الشخصيات النسائية في رواياتها سبيلهن المختلفة. على الرغم من خيبة الأمل ما تزال تقاوم المجتمع العربي والنظام البطريركي بقلمها.

---

[٣] – أنظر: شمس الدين موسى (١٩٩٧)، **تأملات في إبداعات الكاتبة العربية**، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب، ص٣٥.

[٤]- Chris Kutschera (1997), **One Step Forward**, The Middle East, Sep. 1997, p.36.

[٥]- Ibid., p.37.

[٦]- Ibid.

الجدول الرابع: حالة الصين السياسية المعاصرة (شانغ هاي وهونغ كونغ نموذجاً)

العام	الحروب/الأحداث	شانغ هاي	هونغ كونغ	ملاحظات
مرحلة أواخر سلالة تشين (١٦٤٤ – ١٩١٢)				
١٨٤٠	بدأت حرب أفيون الأولى (بين الصين وبريطانيا).			
١٨٤٢	هزمت بريطانيا الصين.	فتحت خمسة موانئ للتجارة منها شانغ هاي.	تنازلت الصين عن جزيرة هونغ كونغ لبريطانيا.	وقعت الصين وبريطانيا معاهدة نان جين.
١٨٤٥		امتازت بريطانيا على شانغ هاي.		
١٨٤٩		امتازت فرنسا على شانغ هاي.		
١٨٥١	بدأت حرب تاي بين الأهلية.			
١٨٦٣		اتّحدت الامتيازات البريطانية بالامتيازات الأمريكية.		
١٨٦٤	انتهت حرب تاي بين الأهلية.			
١٨٩٤	بدأت الحرب اليابانية الصينية الأولى.هزمت اليابان الصين.			وقعت معاهدة ما جوان.تنازلت الصين عن تايوان وبَون هُو لليابان.
١٨٩٨	بدأت حركة وي شين للإصلاح السياسي. انتهت بعد مائة يوم.			
١٩٠٠	بدأت حرب الدول الثماني.انتهت بهزيمة الصين.			احتلّت الدول الثماني وهي: النمسا– المجر وألمانيا وفرانسا وأمريكا واليابان وروسيا وإيطاليا وبريطانيا.وقعت معاهدة شين تشو.
مرحلة حكومة بَي يان (١٩١٢ – ١٩٢٨)				
١٩١٢	بدأت ثورة شين هاي.انقلب حكم سلالة تشين إلى جمهورية الصين.			
١٩١٤	بدأت الحرب العالمية الأولى وانتهت في ١٩١٨.			شاركت الصين في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٧.
١٩١٩	بدأت حركة الرابع من مايو الثقافية والوطنية.			بدأت الحركة بسبب مسألة شان دون التي تمت التنازل لليابان فيها في مؤتمر باريس بعد الحرب العالمية الأولى.

١٩٢١		أسّس الحزب الشيوعي منظّمته الرسمية السرّية في الامتيازات الفرنسية.		
١٩٢٥	أسّست حكومة الصين الوطنية.	بدأت الحركة ضدّ بريطانيا بعد إطلاق الشرطة البريطانية الرصاص على المحتجّين الصينيين.		قائد حكومة الصين الوطنية جان جَون جَين. كان العمّال الصينيون يحتجّون على المصنع الياباني.
١٩٢٦	بدأت الحملة الشمالية بحكومة الصين الوطنية على حكومة بَي يان.			
مرحلة حكومة الصين الوطنية (١٩٢٨ – ١٩٤٩)				
١٩٢٨	حصلت حكومة الصين الوطنية على حكم الصين الرئيسية.	أصبحت مركزاً اقتصادياً بسبب موقعها القريب من عاصمة نان جين.		
١٩٣١	حادثة ٩١٨ العسكرية والسياسية بين الصين واليابان.	احتلّت اليابان كلّ مناطق شانغ هاي باستثناء الامتيازات.		احتلّت اليابان ثلاثة أقاليم في شمال الصين الشرقية. أسّست الدولة الدمية برعاية اليابان اسمها دولة مانجو.
١٩٣٦	حادثة شي ان، خُطف قائد حكومة الصين الوطنية جان جَون جَين بقائد جيش شمال الشرق.			لا بدّ من إيقاف جان جون جين الحملة على جيش الحزب الشيوعي و التعاون معه لمقاومة اليابان.
١٩٣٧	بعد حادثة ٧٧ بدأت الحرب اليابانية الصينية الثانية.	بدأت حرب ٨١٣ التي أقامتها بجان جون جين لتغييراتّجاه هجوم اليابان لكنه فشل، فسقطت شانغ هاي في يد اليابان.		
١٩٣٩	بدأت الحرب العالمية الثانية.			
١٩٤١	بدأت حرب المحيط الهادي بعد هجوم اليابان على بيرل هاربر.	احتلّت اليابان شانغ هاي كلّاً (متضمنّة الامتيازات).	احتلّت اليابان هونغ كونغ.	زادت أمريكا المعاونات للصين.
١٩٤٣		تلاشت كل الامتيازات.		وقعت الصين وبريطانيا وأمريكا المعاهدة الجديدة لإزالة امتيازاتهما في أراضي الصين.

١٩٤٥	انتهت الحرب العالمية الثانية بهزيمة اليابان. بدأت الحرب الأهلية بين الحزب الوطني والحزب الشيوعي.	استعادة شانغ هاي من يد اليابان إلى حكومة الصين الوطنية.	استعادة هونغ كونغ من يد اليابان إلى حكومة الصين الوطنية.	إرجاع كل أراضي الصين المحتلّة من اليابان إلى الصين الوطنية.
١٩٤٩	هزم الحزب الشيوعي الحزب الوطني وحصل على حكم الصين الرئيسية.	حكم الحزب الشيوعي بعد هزيمة الحزب الوطني.	لم يتمكّن الحزب الشيوعي من بسط حكمه على هونغ كونغ لحصولها على اعتراف بريطانيا بحكومته الرسمية.	انسحبت حكومة الصين الوطنية إلى تايوان. إرجاع هونغ كونغ من يد بريطانيا إلى جمهورية الصين الشعبية في عام ١٩٩٧.

※ مرجع المعلومات من تحرير المجتمع لتعليم تاريخ الصين المعاصرة (١٩٦٧)، **تاريخ الصين المعاصرة**، تايبيه: يوشي.

٢- تأثير حالة الصين العصرية على تكوين أفكار أيلين جانغ النسوية

لا يقدر الناس على إصلاح حالتهم الحياتية، بل يقدرون على إبداع بيئتهم الذاتية - وهي لباس، كلّنا نسكن في لباسنا النفسي. - أيلين جانغ [١]

تزدهر أعمال أيلين جانغ في العصر المضطرب، كانت تشعر بلا اختيار أنه لا يمكن تغيير العصر عادة الناس الراسخة وشخصيتهم الذاتية، كما أن فهم الناس العاديين لحالة العصر السياسية محدود. على الرغم من أن الحالة السياسية ليست قضية محورية في روايات أيلين، لكن معظم أعمالها قد اتّصل بسيرورة العصر. مثل "المرأة الممتعضة" و"منع التجوّل" و"حب الأرض الحمراء" و"الرغبة والحذر" و"القيد الذهبي"، كلّها تشكل خلفية العصر المضطرب، الذي ميّز الوضع الصيني من أواخر سلالة تشين إلى بداية الحكومة الوطنية: إنحطاط سلالة تشين وحرب الدول الثماني وسقوط هونغ كونغ وشانغ هاي في يد اليابان والانتصار في الحرب اليابانية الصينية الثانية والحرب الأهلية بين الحزب الشيوعي والحزب الوطني، حيث تكّون المسرح الرئيسي لشخصياتها الروائية.

ووفقاً لأيلين، فإن التاريخ الصيني "يستمرّ تمثيله النشيط في الحياة اليومية" وترى أن مفهوم التاريخ هو رمز الذكريات الجماعية[٢]، عندما تنتقل هذه الذكريات إلى نفوس النساء المضطهدات لا بدّ من تجنّب النظرات الذكورية وتحويلها إلى تجارب المرأة الذاتية. تروي أيلين تجارب المرأة الحياتية في العصر المضطرب من خلال إحدى الشخصيات: كل الأمور العظيمة

---

[١]- أيلين جانغ (١٩٩١)، **النميمة**، تايبيه: التاج للنشر، ص ٧٢-٧٣.
[٢]- المصدر السابق، ص ١٠٩.

أثناء الأعوام – فوضى الحركات وازدهار الدواوين وانقلاب السلالة واستمرار قواد الجيش، لم يعد للمال قيمته، تعاني العائلات بمعاناة مختلفة – قد جرّبت كلّ هذه المصائب[١]. كما تصف جسد المرأة وشبابها وجمالها من خلال هذه الخلفية الفوضوية:

جمالها مجرّد انعكاس للعصر البهي القديم، وجه متصوّر في الأثاث اللامع الخشبي الأحمر، معه نور سرّي بنفسجي. حالما ينتقل الأثاث، فالوجه نفس الوجه: جبين مربّع مستدير، أنف طويل مستقيم، حاجب أسود غامق، عين هلالية راكدة كبيرة، ضعف الجفن، فم رقيق أحمر، ذقن منكمش – ما يزال الوجه نفس الوجه، لكن يبدو يتلاشى من الداخل.[٢]

تكتب أيلين الشخصيات النسائية ضمن الذكريات الجماعية، لكنهنّ الذوات المركزية، أما العصر فهو المسرح الواسع لتمثيلهن فحسب. وبجانب هبوط دور المرأة القديمة وارتفاع دور المرأة الجديدة، تساير التفاعلات بين المجتمع القديم والمجتمع التحوّلي الجديد على أن الزينة الأنثوية ليست مقتربة من العصر الفوضوي، حتى جمالها قد ذبل وولد فراغاً داخلياً. وهو الذي حاولته أيلين لرسم صورة المرأة التاريخية في السياق العصري العظيم.

كما تصف العصر بالاستعارة لإظهار فكرتها الخيالية: مرة بعدما تدع رفيقتها سوتشين، تقف في الشرفة التي تستحمّ بغروب الشمس وتنظر إلى العمارة العالية البعيدة فيها أحمر الشفاه، تظنّ أنه انعكاس أشعة الغروب في النافذة، لكنه قمر في نصف شهر يناير الذي يكون أحمر في ارتفاعه. فجأةً تذكر: هذا العصر عصر مضطرب. وتفكّر في مصير الناس فتشعر بالتعاسة.[٣] إذا أخذنا القمر الذي يشبه الشمس رمزاً للعصر المضطرب، فالخلفية العصرية هي مركز الاستعارة في أعمال أيلين. لا تكون مناظر العصر المضطرب في الخلفية فقط، بل تبدل بالمشاهد المضطهدة لحياة المرأة أيضاً وهي: العائلة والحريم.[٤]

هذا التبديل كتبديل القمر من الشمس، فتبدّل صورة الحريم من صورة العصر، أما صورة العصر فتكمن خلف مشهد الحريم. أي تتضمّن ذات القمر صورة الشمس، الأولى رمز الأنثى وواقع الحريم، والآخر تصوير الذكر وواقع العصر. فتضع أيلين هذا العصر والذكريات الجماعية في الخلفية السردية، ولا تضعها في المركز السردي، لأنها إذا اهتمّت بها أكثر من اللازم قد تخفّف من تجارب المرأة كما تغطّي أشعة الشمس نور القمر فيجب أن تكمن الشمس في الخلفية لا المحورية. وعلى العكس، تهتمّ بكيفية كتابة مصير المرأة لتاريخها ومسيرتها

---

[١]– أنظر أيلين جانغ (١٩٩١)، **جانغ كان**، تايبيه: التاج للنشر، ص ١٢٤.
[٢]– أنظر المصدر السابق، ص ١٢٢.
[٣]– أيلين جانغ (١٩٩٣)، **اللحن الباقي**، تايبيه: التاج للنشر، ص ٩٥.
[٤]– أنظر: لين شين تشيَن (٢٠٠٠)، **أيلين جانغ ــ المرأة ذاتها والكتابة المَخْصِية**، تايبيه: ورق حمراء للنشر، ص٢٩٠.

الحياتية ضمن الكتابة، وتجعل العصر خلفية لدعم المسرح الروائي. وبكلام أدق، إن العلاقة بين كتابة أيلين والسيرورة العصرية تتمثل في العلاقة بين الكتابة النسوية والنظام البطريركي، تكون متوافقة أحياناً ومتنافسة في الحين الآخر. فتحتلّ المرأة الموقع المركزي في كتابتها لكنه لا يساوي موقعها الذاتي، بل تجد ظلّ ذاتها من خلال الانعكاس في النافذة.[١]

وكما أسلفنا، فإن مولد أيلين جانغ كان بعد سنة واحدة من حركة الرابع من مايو التي شددّت على الاستقلال الذاتي والحرية الفردية والإنسانية، لكن هذه الدعوة والأفكار قد واجهت التحدّي القاسي من قبل الحرب اليابانية الصينية الثانية. فعلى الرغم من أن تحرير الذات ضد المعيار التقليدي هو التيار بلا إعادة، لكن الحرية الفردية قد تكون مشكوكاً بها في ظل الحالة الحاسمة الوطنية. لكن لدى أيلين نظرتها الخاصة نحو هذه الذكريات، فترى أنه لا يمكن فهم الصين المعاصرة إلا من خلال فهم حركة الرابع من مايو أولاً، غير أنها لم تتفق مع أفكار هذه الحركة ضد التقليد، وتدرك أن التقليد بالنسبة إلى الإنسان ليس مسألة اختيارية.[٢]

كانت مرحلة أعمالها المزدهرة من عام ١٩٤٢ إلى ١٩٤٥، وهي مرحلة الحرب اليابانية الصينية الثانية أي المقاومة الصينية لمدّة ثماني سنوات. عندما تنتقل من هونغ كونغ إلى شانغ هاي عام ١٩٤٢، إذ تكون شانغ هاي سقطت على يد اليابان، فتكتب معظم أعمالها المثالية المشهورة في شانغ هاي المحتلّة. بالنسبة إلى هذه الحالة، لم تغيّر موقفها لتنتقل إلى الحالة السياسية، ولم تكن انفعالية لتشجيع الحنين الوطني، بل ركّزت على الناس العاديين الذين يكونون في هذا العصر حياتهم ونفوسهم الذاتية. إن اهتمام أيلين هو بالإنسان وليس بالفكر السياسي، تبدأ من النقطة الحياتية ولا تنتقد أخلاقهم: "مهما تكن عيوب الناس فأتسامح معهم حتى أحبّهم، لأنهم موجودون و هم حقيقيون"[٣]. إن الشفقة تأتي من الفهم، وتعتقد أن من واجب الكاتب النظر إلى سيرورة الحياة بالتفصيل، إذا معه إكراه أولاً فلا يبقى أي شيء بعدما فهم إلا الحزن[٤]، بسبب هذا الاهتمام بالحياة، تشير أعمالها إلى الشعور العصري القوي، إن"غير الكامل" الذي هو صورة حقيقية للحياة التي خضعت سيطرة العدوّ.

---

[١]– أنظر: لين شين تشيَن (٢٠٠٠)، **أيلين جانغ ــ المرأة ذاتها والكتابة المَخْصِية**، تايبيه: ورق حمراء للنشر، ص ٢٩١.

[٢]– أنظر: أيلين جانغ (١٩٩١)، **جانغ كان**، تايبيه: التاج للنشر، ص ١٤٨.

[٣]– أيلين جانغ (١٩٩٣)، **اللحن الباقي**، تايبيه: التاج للنشر، ص ٨١.

[٤]– المرجع السابق، ص ٨٠.

ثالثا: بيان التشابه والاختلاف في المؤثرات في تكوين أفكار سحر وأيلين النسوية

بعد مسيرة سحر خليفة وأيلين جانغ الحياتية، وتوضيح الحالة العصرية في ذاك الحين في فلسطين والصين، نحصل على المؤثرات التي أثرت في تكوين أفكارهما النسوية، وبينهما من وجوه الشبه والاختلاف الكثير:

١- التجربة الذاتية المعاناة

كما يرى إبراهيم خليل أن الكاتبة الأنثى تشعر بالتمييز الذي يخلو من العدل بين الذكر والأنثى، وأن هذا الميز يؤثر على طفولة الأنثى[١]، فكلتا الكاتبتين قد جرّبت تهميش الأنثى وتمييزها منذ طفولتهما الحزينة، فسحر خليفة واحدة في سلسلة البنات التي لا ترحب بها العائلة بالفرح بل بالبكاء، أما أيلين جانغ فهي مقيّدة بوالدها في الغرفة حتى كادت تموت. وسحر دائما تسكن في عالمها الخيالي تكتب وترسم وتستبعد أهلها ويتجاهلها الأهل، وأيلين شخصيتها انطوائية لا تحب العلاقة الاجتماعية بل تبقى في قراءتها وهوايتها الرسم كذلك. تشاهد سحر ولادة شقيقها المأمولة والمبروكة تفرح العائلة إلى أعلى حدّ، لكن شقيقها أصبح مقعداً في سن مبكّر مما أدّى إلى ترك الأب المنزل واتخاذه زوجته الثانية. ولدى أيلين شقيق واحد هو مركز العائلة حتى خادمته تكون متكبّرة بسبب ذلك، لكن صحته ضعيفة وشخصيته جبانة. كما كانت العلاقة بين والديهما سيئة، فأبو سحر يتّخذ زوجة ثانية لتنجب له الذكور مما يجعل الأم تهمل نفسها ولا تكترث بالحياة، أما أم أيلين فتعزم على طلاق زوجها بسبب تشاجرهما الدائم ولهوه مع النساء واتخاذه زوجة بعد زوجة. هكذا تعيش سحر وأيلين في جو العائلة الكئيب والمعادي، كلتاهما تريد التحرر من القيود سواء في الحياة الواقعية أو في نفسيهما من الداخل.

وبالإضافة إلى مساحة العائلة، تبدآن رحلتهما للبحث عن الذات والحب والحرية التي ترغبانها لمدّة طويلة، فأخذتا تتّصلان مع العالم خارج البيت، وتقابلان الرجال لكن يخيب أملهما في علاقة ناجحة. كان زوج سحر مقامراً سكيراً بقناع المصرفي، لكنها تصبر وبعد ثلاث عشرة سنة تطلقه، وأما حبيبها التالي فأستاذها الأناني، والحبيب الآخر متزوّج يريد المتعة فقط. أما زوج أيلين فهو خائن سواء في الموقف الوطني وفي حبّه لها، إذ بعد أقل من نصف سنة يغرم بالشابة الأخرى ومن ثم يعيش مع المرأة الثالثة، لكنه كان حبّ أيلين الوحيد. من خلال هذه التجربة التعيسة في الزواج والحب عرفت الروائيتان وجوه الرجال الحقيقية كما ظهرت في رواياتهما.

---

[١]- إبراهيم خليل (٢٠٠٧)، **في الرواية النسوية العربيـــة**، ط١، عمان: دار ورد الأردنية للنـــشر والتوزيـــع، ص١٤٥.

أما والداهما فيؤثران في مفهومهما نحو الذكر والأنثى الأساسي. فصورة الأب/الذكر في نظر سحر صورة أنانية لا يهتمّ بإعانة النساء بل يهتمّ بنفسه وكرامته وينتمي إلى ظلّ النظام البطريركي في المجتمع العربي، يملك المكانة العالية لا من قدراته الذاتية بل من الأسباب الخارجية التي تستند إلى قيمة المجتمع التقليدية. والأم/الأنثى هي التي تعاني، تعيش العيشة تحت مراقبة الناس وما عليها سوى الاحتفاظ بسمعة العائلة ومسؤوليتها عن إنجاب البنات. أما الأب/الذكر بالنسبة إلى أيلين فهو شرّير وشيطاني، يثير حقدها للانتقام ورغبتها في الحياة. كان يحرمها الأمل ويقيدها في الغرفة بغض النظر عن مرضها الشديد، بسبب تشاجرها مع زوجته الثانية. والأم/الأنثى في نظرة أيلين هي صورة مثالية للنضال الذاتي وتكوين الأفكار الجديدة، تقدّم لها الحماية بعدما هربت من منزل والدها.

٢- خلفية العصر المضطرب

مرّت حياة سحر خليفة أثناء نكبة فلسطين عام ١٩٤٨، وهزيمة حرب حزيران عام ١٩٦٧، والانتفاضة الأولى من عام ١٩٨٧ - ١٩٩٣، وتوقيع اتّفاقية أوسلو عام ١٩٩٣. فكل هذه الحالة من الفوضى ظهرت في العصر المضطرب في فلسطين. وكما ذكرنا في الفصل السابق أن الحركة النسوية الفلسطينية تتعلّق بهذه الحالات الوطنية، تأثرت في تكوين أفكار سحر نسوية ما بعد الكولونيالية أيضاً. ومن أهم الأحداث الثلاثة التي غيّرت نظرتها للحياة هي هزيمة ١٩٦٧، حيث تبدأ كتاباتها بانتظام بعد ذلك. فالقضية الوطنية إحدى العوامل المحورية في روايات سحر مما تنسج مع خيوط قضية المرأة ارتباطاً واضحاً. ترى أن بداية المقاومة الوطنية من إصلاح المجتمع العربي أولاً، فتتّخذ النضال النسوي خطوتها الأولى.

أما العصر بالنسبة إلى أيلين جانغ فهو ليس محورياً بل ثانوياً، هناك النقاد الكثيرون الذين ينتقدون رواياتها على أنها ناقصة في المكوّنات العصرية، لكن هذه الآراء غير صحيحة. فعلى الرغم من أن الحالة العصرية ليست من اهتمام أيلين المركزية، لكنها خلفية مهمة كالمسرح الرئيسي لتمثيل الشخصيات في رواياتها. وأفكار أيلين نفسها قد تأثرت بصدمة العصر المضطرب أيضاً، فمولدها بعد سنة واحدة من حركة الرابع من مايو التي تهدف إلى تطوير الأفكار الجديدة وإصلاح معيار الأخلاق التقليدي. كما عاصرت الحرب اليابانية الصينية المستمرة لثماني سنوات، إذ كانت تشاهد التغيّرات العصرية ولا بد من إيقاظ وعيها. على أن موقف أيلين في هذه الجهة لا يتشابه مع موقف سحر القوي، لكن كلتيهما كانت تهتمّ بالإنسان الذي يعيش العصر وتشفق على النساء المضطهدات.

ومهما كانت تجاربهما المصيبة وحياتهما في العصر المضطرب، فإنهما لم تتخليا عن حبّهما للإنسان والعالم. قد خاب أملهما بلا شكّ، لكنهما حولتا الخيبات إلى قوة الإبداع، تكتبان وتخلقان الحياة الجديدة من خلال أقلامهما. تصرّان على تحقيق واستقلال ذاتهما بالكتابة، كما تعبّران عن أفكارهما ضد الأفكار البطريركية وتأسيس الذات الأنثوية في أعمالهما التي سنبيّنها في الفصل التالي.

الفصل الثالث

اتجاهات نسوية ما بعد الكولونيالية في رواية سحر خليفة "الميراث" ورواية أيلين جانغ "المرأة الممتعضة"

بعد توضيح النظرية النسوية في عصر ما بعد الكولونيالية في الفصل الأول، وبيان المؤثرات التجريبية والعصرية في تكوين أفكار سحر خليفة وأيلين جانغ النسوية في الفصل الثاني، لا بد أن نبدأ بتحليل روايتيهما لكي نكشف عن الاتّجاهات النسوية في ما بعد الكولونيالية لديهما. ونقسّم هذا الفصل إلى ثلاثة أجزاء: الأول يكشف عن أهمّ قضايا المرأة التي طرحتها الكاتبتان، وناقشتاها في روايتيهما "الميراث" و"المرأة الممتعضة". والثاني يكشف عن أهمّ صور المرأة في الروايتين، أما الثالث فيبيّن التشابه في القضايا الفنية بين الروايتين، ويكشف عن الطريقة التي قدّمتها الكاتبتان للتعبير عن أفكارهما النسوية ما بعد الكولونيالية.

أولا: قضايا المرأة في رواية سحر خليفة "الميراث" ورواية أيلين جانغ "المرأة الممتعضة"

كما يرى أحمد الظاهر أن قضية المرأة العربية لا تنحصر في علاقاتها بالرجل فقط بل تنحصر في علاقاتها مع الأنظمة الاجتماعية التي ترسم لها إطاراً محدداً عليها ألا تخرج عنه أيضاً[١]، فنحاول أن نناقشها كما تأتي:

١- قضايا المراة في رواية سحر خليفة "الميراث"

أ- الاحتفاظ بالسمعة وجريمة الشرف – حمل قبل الزواج

بدأت القصة من طفولة البطلة "زينب" حياتها مع والدها في نيويورك، وهي مختلطة بالدم العربي والدم الأميركي (والدها فلسطيني ووالدتها أميركية). كانت تسكن مع أبيها وزوجته أما أمها فقد تركت العائلة مبكّرة. نضجت يوماً بعد يوم، وأصبحت فضولية للعلاقة بين الجنسين، سمعت عن قصة جارتها هدى المأساوية، من ثم حصلت على نفس النتيجة مثلها. فقد حدث الأمر العظيم الذي يؤثّر في حياتها التالية، وهو: حملها قبل الزواج وعمرها خمس عشرة سنة فقط.

فالقضية الأولى التي طرحتها سحر خليفة في هذه الرواية هي مسؤولية المرأة للاحتفاظ بسمعة العائلة وسلوك الرجل لاحتفاظ بسمعة العائلة حتى سمعته الذاتية بطريق جريمة الشرف. كتبت سحر من خلال نظرة زينب: "وهدى هذه كانت ابنة جيراننا في المجمّع نفسه، وكانت مثلي: نصف أميركية. حبلت وهي في الخامسة عشرة ورأينا أباها يركض خلفها في الشارع كالثور الهائج وفي يده أطول سكّين. لحق به والدي وحاول إيقافه ولم يتمكّن. وبمساعدة اثنين من الجيران استطاعا أن يمنعاه من ذبحها. ' كان لازم يدبحها '، كان أبي يتعمّد أن يردّد أمامي كلّما سنحت الفرصة: 'وسّخت اسمه ولطّخت شرفه ووطّت رأسه بين الناس. لو أنا مطرحه

---

[١]- أحمد الظاهر، **المرأة العربية (مع دراسة ميدانية للمرأة في الأردن)**، إربد: دار الكندي للنشر والتوزيع، ص١٦٩.

لطاردتها لحدود جهنّم" [١]. كما بيّنت اهتمام المجتمع العربي بسمعة المرأة من الحوار بين زينب وأبيها قال الأب: "اسمعي يا زينب، أهمّ الأشياء بالدنيا: السمعة الحسنة ومخافة الله واليوم الآخر... إنما الحياة عبرة وموعظة وممرّ" [٢]، ثم سأل ابنته الصغيرة عن الحياة فأجابته ودموعها تنهمر على خدّيها. قد حدّد الأب حياة الابنة ووضع لها القانون، لكنه لم يطع القانون نفسه، بل يتزوّج مرة بعد مرة. نرى أن هذا الموقف موقف الذكر الأناني لكنه بقناع "الاحتفاظ بالسمعة" الشرف، أما ما هي السمعة؟ السمعة محددّة من المجتمع البطريركي وليس من أصوات المرأة الذاتية.

وإذا رأينا أن هذه الحالة ناجمة عن اضطهاد المرأة في المجتمع العربي البطريركي، فهي قد تجعل المرأة العربية تميل إلى التحرّر الغربي بحثا عن الحماية. أما في هذه الرواية فقد هربت زينب إلى بيت جدتها لأمها وهي امرأة أمريكية لطيفة قوية منظّمة اهتمّت بأمور زينب، لكنها لا تستطيع الوصول إلى قلب زينب الأعمق، على أنها قد حمتها من ذبح الأب، وعلّمتها كثيرا لتقوية نفسها. تشتاق زينب إلى أبيها والعيش معه في بروكلين حتى أخذت تبحث عنه بعد سنوات طويلة. هكذا عبّرت سحر عن حنين زينب لأبيها في المشهد الأخير بعدما ترك الأب بيت الجدة لذبح الابنة الحامل: "وأنا كذلك لم أنسه. عشت مع جدتي سنوات وسنوات، ونسيت أمي ونسيت ابني، لكني أبداً لم أنس منظره وهو يقطع الممرّ: ذراعه مربوطة إلى عنقه، وظهره محنيّ تحت وطأة عار تراكم منذ آلاف السنين. صحت بأعلى صوتي: 'بابا سامحني' " [٣]. نكتشف من هذه الفقرة شفقة سحر على الرجل العربي، وهو الذي يمارس فعل القمع على المرأة العربية من جهة لكنه الضحية في نظام المجتمع البطريركي من جهة أخرى. الرجل الذي يضع القيود للمرأة هو مقيّد بالقيود أيضاً، إذا لم يحدّد أيهما الشرف والعار فلا يحتاج إلى تحمّل "وطأة عار تراكم منذ آلاف السنين".

ب- حرمان البنت من الميراث

أما قضية المرأة الأخرى في هذه الرواية فهي حرمانها من الميراث. بعد الجزء الأول "بلا ميراث"، جاء سفر زينب من أميركا إلى وادي الريحان لأن أباها كاد يموت. ولم تسافر طمعا بالميراث؛ بل لأنها مشتاقة إليه، وقد تملكها الحنين لوطنها الأصلي. لكن هناك قابلت عائلة عمّها وزوجة أبيها الجديدة التي رغبت بالميراث فعملت تلقيحا في مستشفى هداسا لإنجاب الولد وليًّا للعهد. وصفت سحر اكتشاف ابن عمّ زينب فيها كأنها امرأة لا تستحقّ الميراث: "وبقي يحدّق

---

[١]- سحر خليفة (٢٠٠٧)، **الميراث**، ط٢، بيروت: دار الآداب، ص ١٥.
[٢]- المصدر السابق، ص ٢٠.
[٣]- المصدر السابق، ص ٢٥.

إليّ بضع لحظات وكأنه يحاول اكتشاف ما إذا كنت – كأنثى أيضاً – أستحقّ كل ذاك الميراث"[١]. أما زوجة أبيها الجديدة فتنة فقالت لها مفكّرة: "بس أنت بنت! لولا النصيب كان عوّضته وجبت لكم ولد. الولد بيحجب الميراث، من غير ولد عمّك بيورث"[٢]. كما قال عمّها: "يمكن تجيبي (أي فتنة) لنا ولد يحمل اسمه، يورث اسمه ويورث ماله حلاله زلاله"[٣]. على الرغم من أن زينب كانت هي وريثة أبيها الوحيدة، فقد أصبح أخوها غير المولود مركز نظرات الجميع بعدما أعلنت فتنة حملها به. نرى أن الكاتبة تحاول تقديم ظاهرة تعظيم الذكر وتهميش الأنثى من خلال هذا الموضوع، وهذا الموضوع هو الذي عانته الكاتبة نفسها منذ ولادتها أيضاً[٤]، فولادة البنت غير مبروكة بل ملعونة أما ولادة الابن فتجعل فرح العائلة كبيرا. لكن الكاتبة لم تكتب وتصف هذه الظاهرة في إطار الحالة العامّة، بل قدمت الحالة المتناقضة في هذه الرواية، وهي حمل الولد بطريق التلقيح الاصطناعي.

فأصبحت ولادة الابن أمراً متناقضاً في هذه الحالة، فعلى الرغم من أن حمل زوجة أبيها بالولد الذكر، لكن العائلة غير سعيدة حقيقة، وحتى الناس يناقشون الموضوع بقول خبيث: "هذي مكيدة، عملتها لتحجب الميراث. أبو جابر (أي عمّ زينب) أولى بالميراث هو وولاده. بنته؟ بلا بنته بلا مرته. هذه بنته وهذي مرته، واحدة من بذرة أميركان والثانية قحبة بدون رخصة. هذه غريبة وهذه غضيبة. يا غضب الربّ، يا عيب الشوم"[٥]. كانت ولادة الولد مباركة تبعث السرور في المجتمع العربي التقليدي، لكن في هذه الرواية على يد الكاتبة قد تحوّلت الولادة إلى شيء مكروه وحتى أصبحت أصل المصيبة أخيراً. كادت فتنة تموت في المشهد الأخير، بعد فوضى القلعة، لكنها ما زالت تقول لأمّها أميرة: "إني سعيدة ومحظوظة كثير لأنه الولد اللي ببطني رح يورث لوحده من غير شريك. يعني ابني، الحمد لله، وحداني ذكر وما عنده غير أخت وحيدة، رح يورث كل شيء، كل شيء"[٦]. نرى أنها سخرية من الكاتبة إلى أبعد حدّ لأن فتنة ماتت أخيراً بسبب ولادة الولد المفاجئة، وكانت أميرة تحمل حفيدها بلا شعور حتى تمدّ يديها للجندي الإسرائيلي بالطفل وتقول بهدوء: "شكراً جزيلاً هذا نصيبكم"[٧]. وقبل أن ترجع

---

[١]– سحر خليفة (٢٠٠٧)، **الميراث**، ط٢، بيروت: دار الآداب، ص ٥٢.
[٢]– المصدر السابق، ص ٦١.
[٣]– المصدر السابق، ص ٧٤.
[٤]– أنظر إلى الفصل الثاني في هذا البحث.
[٥]– سحر خليفة (٢٠٠٧)، **الميراث**، ط٢، بيروت: دار الآداب، ص ٧٣.
[٦]– المصدر السابق، ص ٣١٠.
[٧]– المصدر السابق، ص ٣١٦.

زينب إلى أميركا قال لها العمّ وهو يرجو بقاءها في وادي الريحان: "صحيح للولد ضعف البنت، بس أنت كمان نصيبك محفوظ"[١]، ألا يعرف أنها لا تعبأ بوراثة هذا الميراث أبداً!

جـــ- تحقيق الذات

كانت تحلّل الشخصيات النسائية وتحقق لهن ذواتهن في هذه الرواية من ثلاثة جوانب: الأول زينب المغتربة نصف الأميركية التي ترجع إلى وطنها فلسطين بحثاً عن أبيها وشعورها بالفقد، الثاني نهلة التي تعزم على الزواج بأبي سالم ومصرّة على نصيبها في المصنع مهرا لها، والثالث فيوليت التي تعزم على ترك حبيبها مازن وتسافر إلى أميركا لتبدأ حياتها الجديدة.

إن البحث عن الذات بات ظاهرة معروفة ومكرّرة في الأدب الفلسطيني كما تبحث زينة الأميركية ذات الأصول العربية عن زينب الفلسطينية بالارتداد إلى المكان والأهل في وادي الريحان[٢]. لكن القضية الوطنية ليست القضية الوحيدة التي تمحورت الكاتبة حولها، بل قضية المرأة هي التي تسود جميع رواياتها. والمهم في هذه الرواية، من خلال عودة زينب إلى فلسطين، هي ليس العثور على الميراث بل عملية البحث ذاتها هي الأهمّ. كانت زينب تسكن مع جدتها الأميركية بعد حملها بحثاً عن الحماية، فتتأثر بالكثير من أفكار الجدّة في الحياة مما تجعلها تكون قوية متفوّقة في كل شيء كطريق ما لإثبات ذاتها: "لكن ما حدث هو أنني كلما أصبت نجاحاً طلبت المزيد. النجاح كان أن أثبت ذاتي، ففقدت الإحساس بالآخرين"[٣]. لكن هذا الطريق ليس هو الطريق الحقيقي لتحقيق ذاتها بل جزء من الإجراءات التي تساعدها لتجد الطريق الذي يناسبها نهائياً. ونرى أن المهم ليس في اختيارها بل المهمّ "الاختيار" ذاته، أما ولادة ابنها أو النجاح في كسب الحياة أو العودة إلى وطنها الأصلي فإن كلها من اختيارها الذاتي الفردي مقارنة بالشخصيات النسائية الأخرى في الرواية.

وإذا كانت زينب تمثّل المرأة التي تملك الحق لاختيارها الذاتي، فإن نهلة تشكّل النموذج المثالي لموقع المرأة الشرقية ودورها، تعاني الاغتراب طوال شبابها في الكويت لتعمل وتكسب المال لدعم العائلة وخاصة إخوتها الخمسة. لكنها تشعر بكثير من تجاهل الأهل واللامساواة بينها وبين إخوتها تقول: "شوفي الفرق بيني وبينه (أي أخيها مازن). ليش لما أغيب ما حدا بيسأل؟ ليش لما قعدت هناك في الطوز سنين عمري وضيعت شبابي في الغربة ما حدا قال بس؟"[٤]. لقد أيقظ وعيها المكبوت منذ سنوات عندما تقابل السمسار أبا سالم، وتحصل على الاعتراف الذاتي

---

[١]- سحر خليفة (٢٠٠٧)، **الميراث**، ط٢، بيروت: دار الآداب، ص ٣١٧.

[٢]- نزيه أبو نضال (٢٠٠٤)، **تمرد الأنثى: في رواية المرأة العربية وببلوغرافيا الرواية النسوية العربية (١٨٨٥-٢٠٠٤)**، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص ٥٣.

[٣]- سحر خليفة (٢٠٠٧)، **الميراث**، ط٢، بيروت: دار الآداب، ص ٢٦.

[٤]- المصدر السابق، ص ٩٤.

من حبّه ورغبته بها على الرغم من أنه متزوّج وعجوز غير مثقف. تستمرّ العلاقة السرّية معه حتى حدثت الفضيحة في الحفلة، ومن ثم تتزوّج به بغض النظر عن رفض عائلتها فتُخطف من أبنائه لكنها لم تستسلم ولا تقبل الطلاق ولا تترك النصيب. تقضي الكاتبة أوقاتاً كثيرةً لوصف أمور نهلة، نرى أن زواجها بالسمسار ليس ناجماً عن الحبّ الشفاف الحقيقي بل تعبيراً عن إصرارها على فعلٍ ما بإرادتها الذاتية.

أما الشخصية الأخرى فيوليت فهي امرأة جميلة مثقفة لكنها تفشل في كل مشاريعها وعلاقاتها العاطفية، ولعل السبب، كما ترى، هو أنها مجرّد حلاقة وعائلتها ليست من العائلات المعروفة، فيطمع الرجال بها لإقامة علاقة سهلة معها من غير جدية ومسؤولية. كانت تسأل البيك الذي يريد علاقة معها ويلمسها بغير احترام: "مش عارفة ليش بيفكّروني واحدة سهلة! ايش فيّي بيدلّ أني رخيصة؟"[١]. والعلاقة الفاشلة بينها وبين مازن هي القشة الأخيرة التي تقصم ظهر البعير مما يجعلها تقرّر الهجرة إلى أميركا لتبدأ حياتها الجديدة انفصالاً عن الماضي الحزين. وتشعر بالسعادة بعد قرارها الأخير على الرغم من أن مازن يحاول ردعها لكنها اتبعت إرادتها الذاتية. تصف الكاتبة هذا المشهد: "ونظر مازن في عينيها فابتعدت بنظرتها عن عينيه وكأنما لتزيح أشباح الماضي وبقايا الأمس"[٢]. نرى أن قرار فيوليت ليس هروباً من الواقع بل عملية تحقيق ذاتها المحتقَرة في المجتمع البطريركي العربي.

د- القضية الوطنية

هناك خطان رئيسيان يمتدان في نسيج رواية "الميراث" أوّلهما قضايا المرأة والثاني القضية الوطنية. تطرح الكاتبة القضية الوطنية من خلال الشخصيات الثلاث وهي زينب نصف الأميركية التي ترجع إلى وطنها فلسطين وسيلة للبحث عن ذاتها المفقود، وكمال المهندس الذي يغترب طوال حياته في ألمانيا يعمل في المختبر ويشعر بالحنين لوطنه وشعبه الحماسي، ومازن حمدان جيفارا الفدائي الذي كان يعمل في أحد التنظيمات في لبنان، وخاب أمله بعدما سقطت بيروت وحبيبته سلمى. فزينب وكمال متشابهان في هذه القضية، كلاهما يبحث عن الحماية لقلبهما المتألم الحساس في الغربة الطويلة فيعود إلى الأرض الأصلية لكن الواقع لا يشبه ما يفكّر فيه، بل يجد التخلّف والاستغراب من أهله لا يفهمهم ولا يفهمونه. إن الوطن المحبوب قد تغيّر كثيراً إما بسبب احتلال من إسرائيل وإما بسبب الشعب الفلسطيني نفسه الذي لا يفكّر في الإصلاح بل يقبل وينظر إلى كل شيء كالقدر المكتوب. أما مازن حمدان جيفارا الفدائي فهو

---

[١]- سحر خليفة (٢٠٠٧)، **الميراث**، ط٢، بيروت: دار الآداب، ص ٢٥١.
[٢]- المصدر السابق، ص ٢٦١.

يلتزم طريق المقاومة والثورة لكنه لم يحصل على أي نتيجة حقيقية بل مجرد الكلمات هي التي تبقى. يتنقل من مقهى إلى مقهى ويلعب مع امرأة بعد امرأة، يتكلّم عن النضال والثورة لكنه يشرب الخمر ويبقى متشرّداً بلا عمل ولا أمل. نرى أن المهمّ في القضية الوطنية بالنسبة إلى سحر خليفة ليس كيفية هزيمة إسرائيل لإرجاع الأراضي المحتلّة بل المهمّ هو إصلاح المجتمع العربي من الداخل لإنقاذ الشعب المهزوم.

كما تعبّر الكاتبة عن استيائها من اتّفاقية أوسلو في هذه الرواية من خلال إخفاق مشروع المصنع، كان كمال يفكّر في كيفية الحصول على الماء الذي يحتاج المصنع إليه كثيراً عندما ينزل في العبّارة ويغوص في نضح البلد تجاه المكان الذي تكون فيه أخته نهلة المخطوفة: "وانتبه فجأة إلى فكرة أن هذا الخليط بحاجة إلى ملايين الليترات من الماء العذب لمعالجته، ومن أين يجيء بذاك الماء؟ وتذكّر ما قيل في البلدية، أن أوسلو لم تترك لهم حصّة في الماء، وأن الماء إن رغبوا فيه يباع بدولارات أو سندات"[١]. فقد فشل مصنع الشخاخ أخيراً بسبب سحب كمال لنصيبه لتبديل نصيب نهلة وأصبح المصنع نفسه زبالة كبيرة واحداً من صور الفوضى التي تشمل الوطن.

٢- قضايا المراة في رواية أيلين جانغ "المرأة الممتعضة"

أ- الزواج المرتزق

ابتدأت القصة من زواج البطلة "إين تي" المرتزق من غير إرادتها. كانت إين تي تعيش مع أخيها وزوجته، يمتلك البقالة الصغيرة ويبيع زيت السمسم، فتساعد إين تي أخاها في بيع الزيت. وكانت حالة العائلة المالية متعسرة بالطبع، فبعدما نضجت إين تي، طلب أخوها واحدة من وسيطة للتوسّط الزواج المرتزق بين إين تي وأحد الأنجال من العائلة الكبيرة والغنية، لكن الزوج المطلوب كان غير كامل جسديا فهو معاق وأحدب وأعمى. وعلى الرغم من أن إين تي كانت تحبّ الرجل الذي يبيع الأعشاب مقابل الشارع، لكنها تتزوّج النجل الغني المعاق مضطرّة بسبب فقر عائلتها، من ثمّ بدأت حياتها المأساوية مع احتقار الآخرين.

والزواج المرتزق هو نوع من الزواج الصيني التقليدي، كانت المرأة الصينية تتزوّج بطريقين: الأول بأمر الوالدين والثاني من وسيطة الزواج. أما بالنسبة إلى إين تي، فقد مات والداها وأصبح أخوها وزوجته مسئولين عنها، لأنهما قدّما لها ضروريات الحياة. فزواجها بمعاق غني نوع من رد الجميل على إنعامهما عليها. لكن في طويتها العميقة رفضت الزواج وكرهت زوجها وعائلته بل كبتت حزنها ورغباتها بالحب الحقيقي والحرية النفسية حتى أغرمت

---

[١]- سحر خليفة (٢٠٠٧)، **الميراث**، ط٢، بيروت: دار الآداب، ص ١٩٠- ١٩١.

بشقيق زوجها سرّاً. كتبت أيلين ساردة بضمير الغائب: "الأمر العظيم طول الحياة (أي الزواج)، إذا كان مقرّراً فلا يمكن الاستعادة، وخاصة للبنت، وخاصة للبنت الجميلة. الأجمل فهي الأكثر حزناً، بالإضافة إلى البنت نفسها، حتى الناس العابرون يشعرون بالحزن ويتأسّفون عليها"[١]. وهي لم تعد تسأل قارئة الفنجان، لا تحتاج إلى معرفة مستقبلها لأن قدرها مكتوب [٢].

نرى أن الكاتبة قد طرحت هذه القضية بنغمة حزينة، لم تكتب أو تصف حقد المرأة وخيبة أملها بالسرد المباشر، بل قدّمت للقراء الأحداث التي تكوّن وتنسج الأغنية التعيسة خاصة للمرأة الصينية التقليدية المضطهدة في تعبير إرادتها الذاتية. فالزواج المرتزق للمرأة الصينية التقليدية قد يعود ببعض الأموال لعائلتها الأصلية لكنها دفعت سعادتها مقابل هذه الحياة ومن ثمّ عكست هذا الحقد المكبوت على زوجة ابنها فيما بعد.

ب- سياسية الحريم[٣] - التشاجر بين الأمّ والكنّة

العلاقات بين النساء في رواية "المرأة الممتعضة"، مركّبة ومعقّدةً وخاصة العلاقة بين الأم والكنّة. فالعلاقة المتوتّرة بين الأمّ والكنّة قد تبدو أكثر تعقيداً عندما تقع في "ابن الأمّ" و"زوج الكنّة": تقلق الأمّ من أن ابنها سيقف مع زوجته ضدّها، أما الزوجة فتخاف من أن يتركها زوجها ويميل إلى أمّه. فإشكاليات العلاقة المثلثة سوف تكون صراع الهوية بين الأمّ والكنّة مباشرةً، ويستمرّ الاستياء بينهما من جيل إلى جيل.

كتبت أيلين: يبدو أن لا مفرّ من الغيرة بين النظراء، وعلاوة على أن كلّنا امرأة - كل المرأة نظير"[٤]. فالعلاقة بين النساء في نظرتها ليست منسجمة تماماً بل تنافسية في معظم الأحيان، تكون إما في الحبّ والزواج وإما في تعيين الهوية والمكانة العائلية. تحت نظام العائلة الكبيرة التقليدية، قد تمثّل العلاقة الضدّية بين النساء الأرض الداكنة التي تدور داخل نظام المجتمع البطريركي. أما العلاقة بين الأمّ والكنّة فلا تبني على أساس الدم بل تبني على الأساس الاجتماعي فتكون أكثر تعقيداً. وهذه العلاقة المرضية لا تأتي من سوء التفاهم والصراع للمصلحة فقط، لكنها ناجمة عن الثقافة البطريكية التي تضطهد المرأة أيضاً.

تتزوّج إين تي من المعاق الغني فتدخل في العائلة الكبيرة التقليدية التي تقودها أمّ المعاق العجوز المحترمة. والأمّ العجوز هي قائدة العائلة بعد موت زوجها، تسيطر على كل أمور العائلة فيخاف منها كل أفراد العائلة وخاصة زوجات أبنائها الثلاثة ومنهن إين تي. أما موقف

---

[١]- أيلين جانغ (١٩٨١)، **المرأة الممتعضة**، تايبيه: التاج للنشر، ص ١٩.

[٢]- أنظر المصدر السابق، ص ١٦- ١٩.

[٣]- هو المصطلح الذي يشير إلى حالة المرأة الصينية التقليدية في العائلة وخاصة العلاقة المعقدة التي تكـون بين الأعضاء الأنثوية.

[٤]- أيلين جانغ (١٩٩٣)، **اللحن الباقي**، تايبيه: التاج للنشر، ص ٧٧.

الأم العجوز نحو إين تي فهو قاس بشكل خاص، لأن أصلها من العائلة الفقيرة غير المحترمة تبيع زيت السمسم. وكان من عادات العائلة الكبيرة أن يأتي كل الأبناء وزوجاتهم إلى غرفة الأمّ ليسلّموا عليها في الصباح، ففي هذا الصبح إثر زفافها أمس، تستيقظ إين تي متأخرة فتجيء الغرفة بعد أن استيقظت الأمّ، تقول الأمّ لزوجة ابنها الثالث بتعمّد: "نحن من الزمن القديم، المرأة الآن لا تعرف ما هو الخجل، مختلفة عنا في الماضي"[١]. أما بعد موت الأمّ العجوز وقد أصبحت إين تي الأمّ لزوجة ابنها يو شي قالت لصديقاتها بسخرية: "أتذكّر الزمن الماضي تحت سيطرة أمّ زوجي، إذا عدنا إلى الغرفة لنأكل الغداء ورجعنا بشعر غير مرتب قليلاً، فتسبّنا كأننا ننام بعد الأكل. قالت: 'توافق على كل شيء من حيث يحبّها الرجال' هذا القول ليس من أمّ الزوج فقط بل هكذا ينتقدون الناس جميعاً"[٢]. كما قالت خبيثة: "لا تنظر كنّتي كأنها جامدة خشبية، تذهب إلى الحمام إثر مشاهدة ابني"[٣].

ونرى أن سياسة الحريم في صورة المجتمع البطريركي، تعاني المرأة القمع من الذكر في المجتمع البطريركي، مما يجعلها تضطهد النساء الأخريات في الحريم. فأمّ الزوج التي تتأثر من القيمة البطريركية قد تصبح بديلا للذكر الغائب وتحول قوة الذكر الأصلية إلى قوة الذكر الغائب/ المرأة القائدة في الحريم. كانت تعاني القمع من زوجها فتقمع زوجة ابنها لحصول على الهوية ومكانتها الذاتية، تأخذ المرأة بهذا الطريق السلبي وهو الطريق لتخفيف الكبت من النظام البطريركي أيضاً. تصف أيلين هذه الحالة بعد قول الأمّ العجوز: " ' آه! هذه الدجاجة أعجز مني، ويل الطاهي الوغد، يكسب أموالي، يا ابن الكلاب !' تسبّ بالطريق الرسمي مثل زوجها المتوّفي، لأنها أرملة تسيطر على العائلة منذ سنين، تكون أعجز فتشبه سلوك زوجها أكثر"[٤].

لقد أبرزت أيلين قمع المرأة الصينية التقليدية من خلال وصفها العلاقات النسائية داخل الحريم، وخاصة العلاقة بين الأمّ والكنّة في روايتها "المرأة الممتعضة". ولا يمكن أن نتجاهل أن كل الحركات داخل الحريم هي تحت مراقبة وسيطرة من ظلّ النظام الأبوي، بكل أشكالها. قدّمت أيلين لنا فرصة لنستبطن التجارب الأنثوية داخل الحريم الصيني التقليدي وإظهار اليد الخفية التي تحكم عليها ضمن العلاقة بين الأمّ والكنّة.

---

[١]– أيلين جانغ (١٩٨١)، **المرأة الممتعضة**، تايبيه: التاج للنشر، ص ٣٦.
[٢]– المصدر السابق، ص ١٧٣.
[٣]– المصدر السابق، ص ١٧٢.
[٤]– المصدر السابق، ص ٣٨.

جـــ- تقاسم الميراث

تقاسم الميراث هو أمر كبير في العائلة الصينية التقليدية، ولكن لا يوجد أي قانون لتقاسمه بل من خلال إرادة الميت التي كتبها على الورق قبل موته فقط. فإذا لم تكن مكتوبة قد يتقاسم أفراد العائلة الميراث بالفوضى والصراع. أما بالنسبة إلى ما فعلته أيلين في هذه الرواية، فإن الأم العجوز لم تكتب شيئاً قبل موتها فتكون اللامساواة في تقاسم الميراث بين الأفراد وخاصة لإين تي لأن مكانتها في العائلة ضعيفة جداً بسبب أصلها الفقير وزوجها المعاق الذي مات قبل موت الأمّ. تصف أيلين المشهد لتقاسم الميراث: "يحضر كل أبناء الأمّ إلا هي (إين تي) المرأة الوحيدة بديلاً لزوجها المتوّفي. تقوم في العائلة أخيراً"[١] لكن مكانتها ما زالت أدنى من الجميع، وحصلت على منزل عتيق واحد فقط. كان يقول أخو أمّ زوجها: "الأوراق المالية مشوّشة، لم يكن الابن الثاني (أي زوج إين تي) حيّاً فلا تأخذي الأوراق المالية بل خذي من العقارات"[٢]. تجيب إين تي معارضة بالبكاء وتهددهم بالانتحار لكن شيئاً لم يتغيّر ً.

أما الابن الثالث الذي كان يأخذ كثيراً من أموال العائلة ليعاشر النساء في بيت الدعارة، ما زال يستولي على الأراضي الزراعية ومجوهرات أمّه. فطرحت الكاتبة اللامساواة بين الجنسين من خلال هذه الحالة لتقاسم الميراث. وفقاً لقيمة المجتمع البطريركي الصيني، إن الأنثى لا قيمة لها سوى في خدمة زوجها وطاعته وتربية أبنائها جيداً، فهذه النظرة لتعظيم الذكر وتصغير الأنثى تنعكس بأوجه متنوّعة منها اللامساواة في تقاسم الميراث. لأن البنت سوف تكون زوجة الرجل من العائلة الأخرى وأبنائها سيرثون اسم عائلة زوجها فقيل إن البنت المتزوّجة مثل الماء المتدفق، لن تحفظ ميراث عائلتها الأصلية فلا تحصل على شيء أسوة بإخوتها، وعلاوة على أن إين تي ليست بنت الأمّ من الدم بل زوجة ابنها لها قيمة واحدة وهي إنجاب الحفيد فحسب.

د- القضية الوطنية

القضية الوطنية ليست القضية المحورية في رواية "المرأة الممتعضة"، لكنها الخلفية المهمة التي تكون فيها الشخصيات وحياتها اليومية، وتتأثر من هذه الحالة الفوضوية بهذا العصر المضطرب. كانت تنقلب سلالة تشين من الثوريين ويحصل يون شي كاي على رئاسة الجمهورية لكنه خائن يريد استعادة الإمبراطورية لاستمرار حكمه على الصين، فتصبح الحالة الوطنية فوضى بسبب الاضطراب الداخلي والعدوان الأجنبي، وخاصة المكان الذي تحدث فيه أحداث هذه الرواية وهو "شانغ هاي" المحتلّة من أميركا وبريطانيا وفرنسا. لأن عائلة زوج إين

---

[١]- أيلين جانغ (١٩٨١)، **المرأة الممتعضة**، تايبيه: التاج للنشر، ص ٩٤.
[٢]- المصدر السابق، ص ٩٦.

تي عائلة كبيرة رسمية تقليدية كان صاحبها وزيراً للإمبراطور، فقد فقدت سلطتها الذاتية مع سقوط الأرض مما أثر في حياة أفراد العائلة جميعاً. تصف الكاتبة هذه الحالة من خلال عيد ميلاد الصاحب المحترم: "هناك أقارب كثيرون في هذه السنة خاصة، معظمهم هربوا من الأرض الداخلية إلى شانغ هاي (لأن شانغ هاي محتلّة فلديها الحكومة الخاصة). كلهم لا يفهم كيف قلب الثوريون السلالة الحاكمة؟ أليسو طلاباً بسيطين تعارضوا بالطريق غير الجدّي؟ وكانوا يتعارضون أكثر في شانغ هاي لأنها تحت الحماية الأجنابية... قيل إن يون شي كاي خائن يبيع الوطن. قد فقدت سلطة العائلة وشهرتها في أثناء الحالة الوطنية الأسوأ. كما تشعر إين تي أن حالة العائلة لا تشبه حالتها القديمة" [١].

وتصف الكاتبة عقدة النقص النفسية لشعب شانغ هاي المحتلّة في تمّلق الأجانب كما يبدو لدى زوجة الابن الثالث في العائلة: "تنظر إلى الحذاء الذي كتبت فيه الكلمة الأجنبية لكنها لا تفهم ما معناها"[٢]، بل تقدّم الشعور المتناقض للعجرفة النفسية أيضاً: "كلاهما يتعلّم اللغة الأجنبية لأنهما لا يحبان الدراسة الرسمية. كانت العائلة توظف أستاذاً أجنبياً وهو إنجليزي حقيقي، يسكن في حديقة المنزل حتى يُسأل في أي وقت. لكنهما لم يأتيا إليه لطلب العلم بل ليعلّماه الشتائم باللغة الصينية كأنه نكتة كبيرة"[٣]. إن الناس العاديين لا يهتمّون بحالة الوطن السياسية بل يهتمّون بكيفية استمرار حياتهم اليومية في ظل هذه الحالة، كما تعلّق الكاتبة التي تتحدث بأسلوب المتكلّم بضمير الغائب كبديل من إين تي: "تشعر بالبرد قليلاً. على أي حال، كان زواجها حيلةً كلياً"[٤].

ثانياً: صورة المرأة في رواية سحر خليفة "الميراث" ورواية أيلين جانغ "المرأة الممتعضة"

يمثّل الناس أدواراً متعددة لا دوراً واحداً في حياتهم الذاتية في علاقتهم بالآخرين، فبالنسبة إلى الموقع العائلي يمكن أن يكون الذكر ابناً وأخاً وزوجاً وأباً كما تكون الأنثى ابنةً وأختاً وزوجةً وأمّاً، وقد تتغيّر هذه الهويات من جهات أخرى بالنسبة إلى المهنة أو المكانة في المجتمع إلخ. أما صورة المرأة في رواية سحر خليفة "الميراث" ورواية أيلين جانغ "المرأة الممتعضة " فسنتناول صورتها المحورية التي تسود في الروايتين وهي الهوية العائلية الممزوجة بالهوية الاجتماعية، ونصنّف الشخصيات النسائية حسب هويتها الأهمّ كما تأتي:

---

[١]– أيلين جانغ (١٩٨١)، **المرأة الممتعضة**، تايبيه: التاج للنشر، ص ٧٦.
[٢]– المصدر السابق، ص ٣٨– ٣٩.
[٣]– المصدر السابق، ص ٣٩.
[٤]– المصدر السابق، ص ٧٦.

١- صورة المرأة في رواية سحر خليفة "الميراث"

أ- المرأة الأمّ

الست أميرة: الست أميرة هي أمّ فتنة زوجة محمد حمدان، وهي امرأة قوية وإن كان جسدها ضعيفاً، وهي محافظة، أصلها من عائلة الشيّاب التي كانت تملك المفتاح للمسجد الأقصى وأبوها كان مع الثوّار ضدّ الإنجليز ثمّ شارك مع الحاج أمين في الثورة، وهي بنفسها اشتغلت الصوف للثوّار وأخذت دروساً في التمريض أيضاً. كان المشهد الأول الذي تظهر فيه هو الاجتماع في الديوان، تأتي مع ابنها وكنّتها وحفيدها، تستمع لأحاديث الأفراد وتشارك في المناقشة أحياناً. نرى أن الست أميرة تمثّل دوراً مهماً في هذه الرواية كامرأة قوية تدعم الأسرة وتتسامح مع ابنتها الغبية الجشعة التي تقوم بعملية التلقيح الصناعي، وتأخذ مسؤوليتها لزواج نهلة الملعون وترأس مجموعة النساء للمفاوضة مع زوجة أبي سالم لإنقاذ نهلة المخطوفة من أبنائه. فهي "الأم المثال، الأم القدوة، الأم القديرة ذات العقل الراجح والرأي السديد، الأم التي عوّدتهم كشف الذات أمامها بدون مداورة أو مناورة أو أدنى محاولة للإفلات"[١]. وعلى الرغم من أن مظهرها شرقي تقليدي لكنها امرأة ذكية ذات شخصية قوية، فهي قائدة النساء، مسؤولة عنهن وخاصة عن ابنتها فتنة، تعلّمها سلوك المرأة الطيبة وإن لم تتح لها الظروف أن تنال ما نالته الأمّ من رفعة أخلاق، ولم تتركها حتى آخر لحظة بل ترفق معها وترعاها، لكنها خيبت أمل الأمّ وصدمتها وتسببت في موتها. فقد رسمت الكاتبة صورة الست أميرة امرأة شرقية تقليدية مثالية ذات شخصية قوية تمثّل دوراً مهماً في هذه الرواية.

أمّ جريس: أمّ جريس وهي أمّ فيوليت حبيبة مازن حمدان، لا تشبه الست أميرة كامرأة شرقية تقليدية بل هي تميل إلى النمط الغربي تلبس اللباس الحديث وتتكلّم بالانجليزية لترفع مكانتها الاجتماعية. كان المشهد الأول الذي تظهر فيه هو الحفلة في دار حمدان للترحيب بزينب، تأتي أمّ جريس مع ابنتها فيوليت الحلاقة، وتصفها الكاتبة من نظرة زينب فهي من النوع المختلف عن النساء الأخريات: "أمّ جريس امرأة بيضاء مربوعة بشعر قصير تصبغه بأفتح من لونه. تلبس فستاناً صيفياً بأكمام قصيرة وحزاماً أبيض وقبّة أميركانية شديدية النظافة بدون حزوز. كل شيء فيها أنيق مرتّب ومحسوب حسابه بالميلي. وبدت وسط بقية النسوان راقية ومرتّبة... بدت أمّ جريس كما لو كانت من باريس، وكذا ابنتها الحلاقة... أحسست بهما مختلفتين أو فيهما شيء زائد، لطف زائف، ترقق زائد في نطق الأحراف والكلمات يكاد يبلغ حدّ

---

[١]- سحر خليفة (٢٠٠٧)، **الميراث**، ط٢، بيروت: دار الآداب، ص ٨٩.

التكلّف"[١]. مهما كان مظهرها جميلاً لكن عقلها بسيط، فهي لا تعرف قصد البيك الحقيقي لابنتها فيوليت كما كانت لا تستطيع تحمّل كلمات ابنة أبي سالم الفظّة فتترك دار أبي سالم دون صبر، بعكس موقف الست أميرة الثابت والشجاع، تقول قبل المفاوضة مع أمّ سالم لإنقاذ نهلة المخطوفة: "ليش الرجال ما يحلّوها؟ يعني بلا زغرة احنا النسوان ما من تحمّل، والله لو واحد قال لي 'بس' بهرب وبصير زي القطة"[٢]. نرى أن الكاتبة ترسم صورة أمّ جريس بالشكل الغربي الحديث لكنها ضعيفة في العقل والعلم تتابع الرجال ولم يوقظ وعيها هويتها النسوية بل تطيع وجهة نظر الذكور وتيار المجتمع فقط، على أنها تحاول التعبير عن نفسها الأنيقة في محاولة ناجمة عن عقدة النقص النفسي وليست عن استقلال ذاتها الشخصي.

ب – المرأة الزوجة

فتنة: زوجة محمد حمدان وهي ابنة الست أميرة المحترمة، كانت زوجة أبي زينب الأخيرة لكن لم تحمل من هذا الزواج، بل تعمل التلقيح الصناعي في مستشفى هداسا لإنجاب الوارث الذكر ليرث ميراث أبي زينب الوافر. كان المشهد الأول الذي تظهر فيه هو المستشفى الذي فيه أبو زينب، وهي تجلس إلى جانب سريره تمسك بيده. تصف الكاتبة شكل فتنة من خلال نظرة زينب فهي أصغر من سنّها، "شقراء وبيضاء ومزوّقة جداً، تصطبغ بشكل غريب"[٣]. بغض النظر عن نمط لباسها الحديث ومكياجها الثقيل ترى أن كل هذه الزينة غطاء لتغطي ذاتها الضعيفة وعقلها البسيط. تروي الكاتبة حالة فتنة بصوت زينب: "لم تعجبني لكني لسبب لا أفهمه أشفقت عليها. كانت من نوع لا يترك في النفس إلا البرود والاستخفاف. وربما كانت هي أيضاً تعرف هذا فتعوّض النقص بلبس القصير وصبغ الشعر والزواق الكثيف"[٤]. كما تصف الكاتبة طبقة فتنة الاجتماعية التي لا تساوي عقلها الغبي: "وكانت ألوانها منسجمة وملابسها توحي بالذوق وبعض الرقي، ولا بد أن وسطها الاجتماعي لا بأس به، لكنها بدون ثقافة وبعقل يكاد يبلغ حد الغباء"[٥]. نرى أن زينب لا تحّب فتنة لكنها تشفق عليها بدلاً من أن تشجبها ولعل السبب هو أنها من نفس جنسها، حتى تلوم أباها على ضعف زوجته ولا تلوم فتنة نفسها تقول: "ماذا أتوقّع من الوالد؟"[٦]. أما أهمّ صورة لفتنة المرأة الزوجة فهي إنجاب الولد ليرث اسم زوجها وعائلته وميراثه كلاً، لكن الكاتبة تقصد إلى السخرية في هذا الموضوع –

---

[١]– سحر خليفة (٢٠٠٧)، **الميراث**، ط٢، بيروت: دار الآداب، ص ٥٠.
[٢]– المصدر السابق، ص ١٧٧– ١٧٨.
[٣]– المصدر السابق، ص ٥٤.
[٤]– المصدر السابق، ص ٥٥.
[٥]– المصدر السابق.
[٦]– المصدر السابق.

حبل فتنة بالولد من غير الطبيعي بل من التلقيح الصناعي- حتى تصبح ولادة الولد المبروكة السبب الرئيسي لموتها أخيراً، وهي ترمز لاتّفاقية أسلو أيضاً[١]. نرى أن الكاتبة قد رسمت صورة فتنة للتعبير عن فكرتها نسوية مابعد الكولونيالية؛ وإذا احتاجت المرأة/الوطن إلى الاستناد إلى الآخرين للحصول على قيمتها/قيمته النفسية فلا بد أن تكون هذه القيمة فقاعة غير حقيقية مستمرة، لا تحصل على القيمة النفسية الحقيقية إلا من خلال تحقيق استقلال ذاتها/ذاته وليس من أي رجل/بلد آخر.

نعمة: وهي زوجة سعيد حمدان ابن عمّ زينب الرابع المنحطّ صاحب مصنع التوفي والملبّس. كان المشهد الأول الذي يظهر فيه هو حفلة للترحيب بزينب، وهي تأتي مع زوجها وأطفالها الخمسة وشنطتها. لكن لم تصفها الكاتبة بدقة في هذا المشهد، بل تصفها من نظرة نهلة عندما تقيد في دار أخيها سعيد بسبب منع التجوّل الناجم عن موت أحد السائقين في نابلس. فاسمها نعمة لكنها ليست نعمة إلا بالاسم لأنها فقيرة وذليلة. يسمّونها بـــ "بقجة" من احتقار عيلة حمدان، أصلها منخفض تبيع الفول مع أبيها في الشوارع، وطبقتها الاجتماعية غير عالية بل أدنى من المتوسّطة، كانت تصيح أمام الخلق في الزواريب وتخدم زوجها سعيد مثل الخادمة تطيع أمره وتصبر على مزاجه وموقفه السيء. تصفها الكاتبة من نظرة نهلة ترى أنها "كانت الأخرى بقجة، كما كانوا يسمّونها في العيلة، وكانت طبلة وبومة وبقرة. كل النعوت كانت منها وصارت لها وباتت مفصلة تفصيلاً على جثّتها"[٢]. لم تشفق نهلة على زوجة أخيها مع أنها من نفس الجنس، بل تقف مع العائلة التي تحتقرها بسبب الطبقة الاجتماعية المختلفة فهي أعلى منها لأن أصلها من عائلة حمدان. وفي رأي نهلة أن البقاء في دار أخيها مع زوجته وأطفاله كالإهانة لكرامتها حتى لا تستطيع أن تأكل معهم وكلّما تنظر إلى نعمة تشيح عنها بسبب الغثيان، كما تروي الكاتبة: "والآن تحسّ بهذا الذل أمام البقجة بنت الترمس والطبلية والفول المملّح"[٣]. نرى أن الكاتبة تهتمّ بمسألة الطبقية في رسم صورة نعمة أكثر من اهتمامها بمسألة الجنس، فهي تعاني المعاناة المزدوجة من جهة الجنس والطبقة، لا تحصل نعمة على تهميش من الذكور فقط بل تحصل على احتقار من الأنثى أيضاً.

زوجة أبي سالم: أي أمّ سالم كانت تمثّل دوراً مهمّاً في زواج زوجها الثاني بنهلة حمدان. والمشهد الأوّل الذي تظهر فيه هو حفلة للترحيب بزينب، تأتي مع زوجها أبي سالم (وهو ابن

---

[١]- أنظر: وائل علي الصمادي (٢٠٠٦)، **صورة المرأة في روايات سحر خليفة**، رسالة ماجستير، جامعـــة آل البيت، ص١١١.

[٢]- سحر خليفة (٢٠٠٧)، **الميراث**، ط٢، بيروت: دار الآداب، ص ١١١.

[٣]- المصدر السابق، ص ١١٢.

عمّ زوجة عمّ زينب) وبناتها الضخمات، تصف الكاتبة بأنها "الفلّاحة المتمدّنة بملابسها المكشكشة وكيلوين من الذهب في رقبتها"، فهي زوجة السمسار المغرور الذي يملك كثيراً من الأراضي ويكسب كثيراً من المال لكنه لم يملك الحياة الحقيقية ولا يرضى بزوجته الفلّاحة. تصف الكاتبة زوجة أبي سالم من نظرة زوجها الذاتية، فهي سمينة ضخمة بلا أي جذب حتى يشكّ ويسأل نفسه أهي امرأة وأنثى وإنسان ؟ يرى أنها "امرأة كركوبة في مثل عمره لكنّها تبدو كجذع زيتونة رومانية من قبل المسيح" وهي تشبه "صهريج شحم له رفاس ومجذافان ومروحتان، مشت فهبّت رياح العبور ورائحة الزبدة ولبن المخيض"[١]. على الرغم من أنها بدون أي قيمة، لكنها تمثّل دوراً مهمّاً كالمفتاح لإنقاذ نهلة زوجة زوجها الثانية المقيدة المخطوفة. بغض النظر عن جهلها وعقلها البسيط، ما زالت تملك قلباً طيباً حنونا لأي مخلوق وليد، كانت تتحرّك بكلمات الست أميرة المثيرة "احنا النسوان دايماً أحنّ على بعضينا، الرجال دايماً بيعقدوها"[٢] وتكاد تقبل طلبها وشروطها لتبديل نهلة بالسلامة "فهي حقا تريد الخير"[٣] لكن تتدخّل ابنتها في النقطة الأخيرة فينتهي الموضوع بغير الفرح. نرى أن الكاتبة ترسم صورة زوجة أبي سالم بأنها امرأة عادية تغير من نهلة زوجة زوجها الجديدة لكنها تشفق عليها أيضاً لأنها امرأة وأنثى وإنسان كذلك.

جـــ – المرأة العزباء

إن الشخصيات الثلاث المثالية هي زينب ونهلة وفيوليت، على الرغم من أن كلّهن تأخذ بطريقتها الخاصة لكن غايتهنّ واحدة فهي تحقيق الذات. ولا نريد أن نكرر ما قمنا به للبحث عن الذات في هذا الجزء، بل سنركّز على صورتهن النسوية التي تصفها الكاتبة في الرواية.

زينب: صورة زينب / زينة مركّبة معقّدة ترسمها الكاتبة بنصف فلسطينية مختلطة بنصف أمريكية، فتعبير الكاتبة من خلال صورتها بكثير من الشعور التناقضي متحرّكاً بين القيمة الغربية والقيمة الشرقية: تنبت في التراث الغربي لكنها تميل إلى أصلها الشرقي، كادت تموت تحت سكين أبيها بسبب جريمة الشرف وكانت جدّتها الأمريكية تقدّم الحماية لها، تعيش معها وتتأثر بها في مواقفها من الحياة، لكنها لا تلوم أباها الفلسطيني بل تشتاق إليه كما تشتاق إلى تلك الأيام التي كانت تعيش معه. كما تكتب الكاتبة إحياءً لذكرى زينب: "وأنا كذلك لم أنسه. عشت مع جدّتي سنوات وسنوات، ونسيت أمّي ونسيت ابني، لكنّي أبداً لم أنس منظره (أي أبيها) وهو

---

[١]– سحر خليفة (٢٠٠٧)، **الميراث**، ط٢، بيروت: دار الآداب، ص ١٠٢– ١٠٣.
[٢]– المصدر السابق، ص ١٨١.
[٣]– المصدر السابق.

يقطع الممرّ: ذراعه مربوطة إلى عنقه، وظهره محنيّ تحت وطأة عار تراكم منذ آلاف السنين."[١]

نهلة (قبل زواجها من السمسار): إذا رأينا زينب كصورة المرأة الملوّنة بالشفقة، فصورة نهلة ملوّنة بالاستياء من حياتها المكتوبة. كانت تُضع كل مسؤوليات المرأة على كتفيها عندما تمرض أمّها وهي ما زالت بنتاً صغيرة: "تطبخ، تغسل، تنظّف البيت وترعى الأمّ."[٢] من ثمّ قضت شبابها في الكويت تعاني من الجو الحارّ والشعور بالاغتراب، الوحيدة لكسب المال كي تدعم العائلة ودراسات إخوتها الخمسة. أما حالتها الآن فهي عجوز، لم تعد شابّة وجذّابة وهي امرأة بور قلبها الجاف يحتاج إلى رطوبة المطر. كما كتبت سحر في الرواية: "بدأت نضرة وباتت عانساً. عانس؟ عانس! كلمة مسطّحة سقيمة لهموم فردية وامرأة بور، والمرأة البور كالأرض البور غير مثيرة، لا تثير الفكر والقريحة." [٣] لقد رسمت الكاتبة صورة نهلة كصورة المرأة الفلسطينية المثالية، و في بعض الفقرات قد أخذت المرآة كوسيلة ما لتقديم وعرض صورتها المنعكسة من خلال نظرتها الذاتية، مما جعل القارئ ينظر إلى صورة نهلة كما تقف أمامها مباشرةً: "واقع امرأة في الخمسين كانت حلوة، نضرة، صغيرة، مليئة بالحبّ والعواطف، أفاقت فجأة ووجدت نفسها ابنة خمسين، بلا مأوى وبلا جدوى وبلا إشباع."[٤]

فيوليت: أما صورة فيوليت فهي ملوّنة بالتعاسة على أنها ما تزال شابّة وجميلة وفاتنة، تجذب نظرات الرجال فجأة لكنهم ينقلون نظراتهم إلى أشياء أخرى إثر فترة قصيرة. إذا قلنا إن صورة زينب التناقضية تكمن في تعيين هويتها بين أصلها الفلسطيني وعيشتها الأمريكية؛ وصورة نهلة الاستيائية تكمن في التنفيس عن مشاعرها المكبوتة منذ زمن، فإن صورة فيوليت التعيسة تكمن في تعيين هويتها الذاتية من خلال تجاربها مع رجال جعلتها تشكّ في معنى كيانها نفسها وتحتقر كل الرجال. كما كانت تسائل نفسها بعدما يتمادى البيك معها: "كم مرة نظرت في المرآة لترى أسباب تماديهم بعد المصافحة الأولى."[٥] وتعتقد أن الرجال "ما واحد منهم بني آدم! أنا مجنونة، كيف حبّيتهم؟"[٦] وفي الفقرة الأخرى كانت تحكي لزينب كأنها تحكي لنفسها: "مازن

---

[١]– إن صورة الأب تتكوّن من الصورة الجدلية بين الأب المثالي والأب الحقيقي وتكوّن جزءً من شعور زينب التناقضية. أنظر: ليندا عبيد (٢٠٠٧)، **تمثيلات الأب في الرواية النسوية العربية المعاصرة**، ط١، عمـــان: دار فضاءات، ص٢٢، ٦٤-٦٥.

[٢]– سحر خليفة (٢٠٠٧)، **الميراث**، ط٢، بيروت: دار الآداب، ص ١٩٨.

[٣]– المصدر السابق، ص ٦٦.

[٤]– المصدر السابق، ص ٩٥.

[٥]– المصدر السابق، ص ٢٢٧.

[٦]– المصدر السابق، ص ٢٢٥.

حمدان كان سبب حاله، زيّ ما أنا كنت سبب حالي"[١] وهو"مهزوم برّه وجوّه"[٢]. نرى أن الكاتبة قد رسمت صورة فيوليت خاصة بواسطة تجاربها مع رجال لكنهم ليسوا اللون الرئيسي بل اللون الثانوي ممّن يُظهرون صورة فيوليت المتميّزة.

٢- صورة المرأة في رواية أيلين جانغ "المرأة الممتعضة"

أ- المرأة الأمّ

سيدة ياو العجوزة المحترمة: كانت هي أهمّ امرأة في عائلة ياو الكبيرة وتمتلك كل القوة بعد وفاة زوجها كأنها الإمبراطورة في العائلة. المشهد الأول الذي تظهر فيه صباح يوم ما، كل زوجات أبنائها وأحفادها ينتظرون خارج غرفتها لكي يسلّموا عليها كالعادة، فهي امرأة قصيرة تسعل دائماً، شكلها ضعيف لكنها عظيمة ومخيفة بالنسبة إلى كل أعضاء الدار: "يُسمع صوت سعال السيدة العجوزة داخل الغرفة ' ك!ك! ' يرتفع صوت ' ك ' الثاني ارتفاعاً خاصاً مما يهزّ القلب. تلبس الحذاء الخشبي، كلما تقف يقع قدماها المربوطان على الأرض فيطلقان صوتاً. قامتها قصيرة فلا تصل قدميها إلى الأرض عندما تجلس."[٣] نرى أن صورة سيدة ياو العجوز التي هي أمّ الزوج الصينية التقليدية المثالية، تُفسد أبناءها وتتعب الكنّات، تهتمّ بالعادات والتقاليد وهي مزيج من هذه العادات والتقاليد لكنها لم تغيّرها بل تستمرّ عليها حتى تكون البديل عن الذكر الغائب في العائلة. ومن الجدير بالذكر أن الكاتبة لم تصف صورة سيدة ياو مباشرة لكنها ترسم صورتها بطريق غير مباشرة وخاصة من قولها وأفعالها التي تعني أكثر من الظاهر، مثل صوت سعال سيدة ياو وصوت حذائها الخشبي، فهو نوع من الرمز لصورتها المخيفة، تردّد الكاتبة هذا الصوت مرة أخرى بعدما توفيت سيدة ياو كأنها ما زالت حيّة في خوف الجميع: "يسمع الجميع صوت سعال سيدة ياو في الغرفة ' ك!ك! ' يرتفع صوت ' ك ' الثاني ارتفاعاً خاصاً... ويسمع ابن ياو الأوّل صوت حذائها الخشبي كأنها تجلس كلما تقف يقع قدماها المربوطان على الأرض فيطلقان صوتاً."[٤]

أمّ يوشي: أي إين تي بعدما تلد الولد واسمه يوشي. كانت منزلة إين تي في عائلة ياو أدنى من الكنّات الأخريات بسبب طبقتها الأصلية فلا تحنّ سيدة ياو العجوز (أي أمّ زوج إين تي) عليها بل تنتهز أي فرصة لتعيبها. لحسن الحظّ أنها تلد ولداً فتشعر بالسعادة إلى أبعد حد، كأن الولد يكمل حياتها المكسورة وتعتقد أنه جزء منها: "لم تكن (إين تي) مسرورة إلى هذا الحد

---

[١]- سحر خليفة (٢٠٠٧)، **الميراث**، ط٢، بيروت: دار الآداب، ص ١٣٤.
[٢]- المصدر السابق.
[٣]- أيلين جانغ (١٩٨١)، **المرأة الممتعضة**، تايبيه: التاج للنشر، ص ٣٥.
[٤]- المصدر السابق، ص ٩٣.

بعدما تدخل باب عائلة ياو."[١] "هو (أي ابنها يوشي) جزء منها، وهو ذكر."[٢] إن صورة أمّ يوشي ليست صورة الأم الحنونة العادية، بل رسمتها الكاتبة بالشكل التشويهي واللون المظلم بسبب حالة إين تي النفسية غير السليمة وتجاربها الماضية غير الراضية، فهي امرأة تزوّجت الرجل المعاق (أي ابن ياو الثاني) مضطهدة من أمّ زوجها ومحتقرة من أعضاء العائلة، لا تملك شيئاً إلّا ابنها يوشي. هكذا تتمسّك بابنها قوّة حتى تتعاطى الأفيون وسيلة لإبقاء يوشي معها في الدار، يستلقي في السرير ويدخّن الأفيون ويتحدّث عن زوجته معها كأنهما في موقف واحد ضدّ الغريبة (زوجة يوشي الأولى): "قد وصلت الغريبة إلى الدار، فيقف الابن مع أمّه ضدّ العدو حتى تصبح علاقتهما حميمية أكثر، يتحدّثان ويضحكان في السرير عندما يدخّنان الأفيون معاً."[٣] لقد أصبحت إين تي المضطهَدة من أمّ زوجها الأمّ المضطهدة لزوجة ابنها كأنها نسخة من صورة سيدة ياو العجوز حتى تكون قاسية أكثر وأشدّ: "تعيبها (زوجة يوشي) من الصبح إلى الليل. كانت كنّة لمدّة ثلاثين عاماً ثم أصبحت أمّ زوجة ابنها لمدّة ثلاثين عاماً أخرى، سوف يحين الوقت لكل امرأة بالدور."[٤] نرى أن صورة أمّ يوشي هي منتج كئيب لصورة المرأة الصينية المقيدة بالعادات والتقاليد، لا تستطيع أن تحرّر نفسها بل ترضي من خلال قيادة امرأة أخرى.

ب – المرأة الزوجة

زوجة ابن ياو الأول و زوجة ابن ياو الثالث: ترسم الكاتبة صورتهما متماثلة بوجه العموم، كلتاهما جميلة ومهذبة عائلتهما الأصلية من الطبقة العالية. لقد تزوّجتا فدخلتا عائلة ياو قبل إين تي، فالعلاقة بينهما أحسن من علاقتهما مع إين تي فتحتقرانها وتسخران منها. تروي الكاتبة المشهد الذي تمثّل فيه هذه الكنّات الثلاث وهنّ يقشرن لوزاً، تتحدّثان وتضحكان زوجة ابن ياو الأول و زوجة ابن ياو الثالث، يبدو أنهما لا ترغبان بمشاركة إين تي لهما: "تمزح الاثنتان (زوجة ابن ياو الأول وزوجة ابن ياو الثالث) طول اليوم، لكن وجهيهما يتيبّس عندما تمزح (إين تي) كأن قولها من الطبقة غير العالية."[٥] وهناك حدث آخر يظهر انحيازهما وهو سرقة مجوهرات زوجة ابن ياو الثالث. كانت إين تي في فترة الانتعاش بعد ولادتها فتقبل الأمّ دخول زوجة أخيها للرعاية. يسرق ابن ياو الثالث مجوهرات زوجته لأنه يحتاج إلى نقود كي يلهو في بيت الدعارة، لكنّ الجميع يشتبه في زوجة أخي إين تي، وخاصة زوجة ابن ياو الثالث

---

[١]– أيلين جانغ (١٩٨١)، **المرأة الممتعضة**، تايبيه: التاج للنشر، ص ٥٦.
[٢]– المصدر السابق، ص ١٥٤.
[٣]– المصدر السابق، ص ١٦٨– ١٦٩.
[٤]– المصدر السابق، ص ١٦٩.
[٥]– المصدر السابق، ص ٣٩.

فهي تبكي وتشكو إلى الأمّ من هذه السرقة: "ما زالت تبكي زوجة ابن ياو الثالث. ' كل خادماتي يتابعنني منذ الصغر، جميعهنّ يقلقن إلى أبعد الحد. ينبغي أن نكشف (السرقة) بالوضوح، وإلا سوف توضع المسؤولية عليهنّ '."[١] نرى أن صورة هاتين الزوجتين هي صورة المرأة الصينية التقليدية المتسلحة بالأخلاق الإقطاعية، فهي تتابع معيار المجتمع البطريركي، تقف مع الذكر (زوجها) الذي يكون في نفس الطبقة (العالية) ضدّ المرأة (إين تي) التي تأتي من الطبقة الأخرى. لم نر التعاطف بينهنّ بل التشاجر سواء في الظاهر أو في الباطن.

إين تي زوجة ابن ياو الثاني: صورة إين تي صورة المرأة المظلمة طول الحياة، شكلها جميل وفاتن لكنّ قلبها مكسور. فهي تنحدر من عائلة فقيرة وهي يتيمة تعيش مع أخيها وزوجته، لا تستطيع أن تتزوّج الرجل الذي تحبّه بل تتزوّج الرجل المعاق وهو من العائلة الكبيرة الغنية، كما تكتب الكاتبة أن "الأجمل هو الأكثر سبباً للحزن في هذا الحين"[٢]. لم تكتب الكاتبة كثيراً عن حياة إين تي قبل زواجها بل تهتمّ بحياتها بعد الزواج، ترسم صورة إين تي بصورة المرأة المريضة في القلب من خلال وصف سلوكها وأقوالها التي تعبّر عن استيائها ورغباتها الشاذة، وخاصة العلاقة السرية بينها وبين شقيق زوجها أي ابن ياو الثالث. كانت إين تي تقشر لوزاً مع زوجة ابن ياو الأول وزوجة ابن ياو الثالث، هناك وقت وجيز تتركان فيه القاعة. يمرّ ابن ياو الثالث بالقاعة فيغازل إين تي ويطلب منها أن تغنّي له مما يحرّك شعور إين تي ورغبتها المكبوتة منذ الزمان: "تمسّ حاشية ثوبه قدميها برفق، ما أحلى هذا الشعور بالنسبة إليها."[٣] لكن المغازلة تتقطّع بعودة زوجة ابن ياو الأولى إلى القاعة. تعود إين تي إلى غرفتها مع زوجها المعاق والأعمى لكن شعورها المتحرّك لم يهدأ. كان زوجها يبحث عن مسبحته المحبوبة المصنوعة من الجوز، تجدها إين تي لكنها لم تعطها له بل تكسّرها حبّة بعد حبّة، كأن هذا التصرّف نوع من الانتقام والتنفيس عن تجاربها: "تنظر إلى وجهه المتفاجئ فلا يمكن أن تكتم الضحكة."[٤] وعلى الرغم من أنها زوجة ابن ياو الثاني في الاسم، تميل إلى ابن ياو الثالث في الحقيقة، لكن هذه العلاقة لم تبن على حبّ حقيقي بل على خيالها وأملها أن تكون محبوبة لرجل عادي. نرى أن صورة إين تي كزوجة ابن ياو الثاني تركز اللون التشاؤمي وتزيد الظلال فوق صورتها الكئيبة الأصلية.

---

[١]– أيلين جانغ (١٩٨١)، **المرأة الممتعضة**، تايبيه: التاج للنشر، ص ٦٨.
[٢]– المصدر السابق، ص ١٩.
[٣]– المصدر السابق، ص ٤٨.
[٤]– المصدر السابق، ص ٥٣.

زوجة بين فا: أي زوجة أخي إين تي. كانت تبيع زيت السمسم مع زوجها وتعيش مع أخته في البيت نفسه، وهي المبادِرة إلى زواج إين تي التعيس، تطلب من الوسيطة بحثاً عن زوج مناسب لأخت زوجها فتستطيع أن توفّر المال لعائلتهم الفقيرة. لا نرى في صورة زوجة بين فا أي شفقة على أخت زوجها إين تي بل تأخذها وسيلة لكسب المال. كان بين فا يتردّد في قبول زواج أخته مع ابن ياو الثاني المعاق والأعمى، لكن زوجته تحثّه على أن يقوم بالخطبة تقول له: "هذا خطأ لك، يجب أن تكون الشخص الذي يقرّر لا أختك التي من الصعب إرضاؤها. قيل إنها يتيمة، إذا أخّرناها ستكون الملوم. يجب أن تكون عازماً."[١] وهي نتاج للمجتمع البطريركي أيضاً، أفكارها لا تترك معيار الأخلاقية التي تنتمي إلى المركز الذكوري. كانت زوجة بين فا تعزّي إين تي وتخفف عن حزنها بعدما تزوّجت ابن ياو الثاني ورجعت إلى بيت أخيها: "لا تحزني يا أختي، إذا حملت ولداً ستكونين أسعد في هذه العائلة الكبيرة! سوف يأتي يومك السعيد."[٢] كما تقول: "لا تحزني يا أختي، إذا أن زوجك معتلّ الجسم، فهو يعتمد عليك في كل شيء...، قد يحسدك آخرون على زواجك."[٣] نرى أن المؤثرات البطريركية في أفكار زوجة بين فا فمن رؤيتها قيمة المرأة لا تكون في نفسها بل تكون في الذكور الذين تتعلّق بهم مثل زوجها وابنها. لقد رسمت الكاتبة صورة زوجة بين فا بصورة المرأة الانتهازية، لا تهتمّ بإين تي بل تهتمّ بكيفية الحصول على الأموال حتى تريد أن تزوّج ابنتها من يوشي وهو ابن إين تي الوحيد. كانت تحكي لإين تي تلميحاً: "عمر الولد لا يهمّ، لكن يجب أن تفكّري بدقة يا أختي، تحتاجين إلى الفتاة التي ترافقك."[٤]

زوجة يوشي الأولى: تأتي من عائلة فونغ التي تتساوى في الطبقة نفسها مع عائلة ياو. كانت تطلب إين تي من الوسيطة لتحقق لابنها يوشي زواجاً مناسباً، فتجد الوسيطة ابنة فونغ من العائلة التي تشبه عائلة ياو على أنّ مظهرها قبيح جداً. قد وصفت الكاتبة صورة زوجة يوشي الأولى وصفاً واقعياً من البداية، فهي بشعة لديها عينان صغيرتان وفم كبير حتى تخيف جميع المشاركين في حفلة الزواج: "يصمت الجميع فجأةً. تنزل رأسها، وجهها مستدقّ، عيناها صغيرتان تشبهان خطاً واحداً، فمها كبير لا يظهر ذقن تحت الشفتين الغليظين."[٥] وبالطبع إنها ليست محبوبة لدى زوجها يوشي ولا تحبّها أمّ يوشي أيضاً، يقفان في موقف واحد ضدّها كأنها عدوّة من خارج العائلة. والكاتبة لم تعط زوجة يوشي الأولى أي فرصة لتطلق صوتاً بل تدعها

---

[١]– أيلين جانغ (١٩٨١)، **المرأة الممتعضة**، تايبيه: التاج للنشر، ص ٩.
[٢]– المصدر السابق، ص ٢٨.
[٣]– المصدر السابق.
[٤]– المصدر السابق، ص ١٠٢.
[٥]– المصدر السابق، ص ١٦٨.

صامتة، لكن نرى أن هذا الصمت هو الوسيلة التي ترسم بها صورة زوجة يوشي الأولى، مما تجعل نظرة القارئ تتركّز في صورتها المضطهَدة تركيزاً خاصاً. فهي الكنّة التي تُقمَع من أمّ زوجها، وموقف زوجها لا يميل إليها بل يميل إلى أمّه: "هناك شيء ما يحدث كل يوم. تعود إلى الغرفة وتبكي دائماً، يعزّيها زوجها أحياناً لكنه يقذفها مع أمّه وراءها."[١] إن صورة زوجة يوشي الأولى امرأة تعيسة ومكبوتة معاملة بقسوة من أمّ زوجها ولا يمكن أن تقول أي شيء ضدّها بل تشكو إلى زوجها دون فائدة. تستمرّ هذه الحالة منذ دخولها إلى باب عائلة ياو وتستمرّ طوال حياتها بعد الزواج حيث تصبح مريضة إما في الجسد وإما في القلب مظلومة حتى تموت.

زوجة يوشي الثانية: هي محظية يوشي وليست زوجته الرسمية. اسمها دونغ مَي، كانت خادمة إين تي. تتزوّج دونغ مي يوشس بأمر إين تي بعدما تمرض زوجة يوشي الأولى، لكي تنجب ولداً يرث اسم عائلة ياو غير أن يوشي لم يفكّر في الزواج بها من قبل. تصف الكاتبة صورة دونغ مي من رؤية إين تي أنها "غبية لكن لدى الغبية بركة. بشرتها بيضاء والبياض يغطي البشاعة. كفلها كبير ومربّع مما يسهل لإنجاب الولد. نستعير بطنها لإنجاب الولد فحسب."[٢] أما بالنسبة إلى يوشي فمظهرها عادي لا تهتمّ بالنظافة بل تبدو وسخة دائماً.[٣] على الرغم من أنها لم تحصل على اسم "زوجة" الرسمي، لكنها تملك الحق الحقيقي، تنام في الغرفة الأمامية (و زوجة يوسي الأولى تنام في الغرفة الخلفية) تعالج أمور العائلة ولديها خادمة خاصة. إن السبب الرئيسي لاختلاف تجربة دونغ مي عن تجربة زوجة يوشي الأولى هو أنها محكومة من أمّ زوجها إين تي، لن تكون تهديداً في العلاقة بين الأمّ وابنها، إن لم ترض إين تي بدونغ مي تستطيع تبديل مكانتها بأي امرأة أخرى لأنها خادمتها وليست زوجة يوشي الرسمية كما تروي الكاتبة: "إذا أصبحت دونغ مي مزهوّة، يمكن أن تطلب إين تي من الوسيطة أن تتوسّط في أي زواج آخر، لا تخاف ألا تقيّدها."[٤] نرى أن صورة دونغ مي امرأة مقيّدة ودمية بيد أمّ زوجها وتبدو مصنع عائلة ياو وظيفتها إنجاب الأولاد. هي مسؤولة عن كل أمور العائلة لكن أمّ زوجها هي السلطانة التي تقرّر كل شيء. لم تشك دونغ مي من هذه الحالة القاسية بل تقبلتها صامتةً كأنها حياتها المكتوبة.

---

[١]– أيلين جانغ (١٩٨١)، **المرأة الممتعضة**، تايبيه: التاج للنشر، ص ١٧٤.
[٢]– المصدر السابق.
[٣]– المصدر السابق.
[٤]– المصدر السابق، ص ١٧٥.

ثالثاً: وجوه الشبه في القضايا الفنية بين الروايتين: في الزمن والمكان والسرد

١- القضايا الفنية في رواية سحر خليفة "الميراث"

أ- الزمن

تتكوّن الرواية من ثلاثة أجزاء وهي الجزء الأول"الميراث" والجزء الثاني "هذا الميراث" والجزء الثالث "ثم التركة". فلنحلّل زمن الرواية وفقاً لهذه الأجزاء الثلاثة كما يأتي:

الجزء الأول "الميراث": يركّز هذا الجزء في حياة البطلة (زينب) قبل أن ترجع إلى فلسطين، فزمنه يمرّ بطفولة زينب مع أبيها وزوجة أبيها من ثم شبابها وحملها الذي يجعل جريمة الشرف من الأب وعيشها مع الجدّة من ثم حياتها في الدراسة والعمل. نرى أن هذه الأزمان تهتمّ بحياة زينب الأنثى، وليست أنثى عادية فقط بل أنثى فلسطينية خاصةً أيضاً. وقد رسمت الكاتبة الأزمان في هذا الجزء بالخطّ الأفقي الذي يقع فيه حدث ما بعد حدث، وفقاً لتجارب زينب الأنثوية الفلسطينية الذاتية. وعلى الرغم من أن الكاتبة لم تفرد صفحات كثيرة لهذا الجزء، لكنها توضّح لنا حياة البطلة، مما تُظهر قضايا المرأة العامّة والصعوبات التي تواجهها المرأة الفلسطينية الخاصة. مثل أي إنسان عادي، قد مرّت بزينب مراحل الحياة، ومثل أي امرأة عادية، حملت وأنجبت طفلة. لكن لديها هوية أخرى فهي امرأة فلسطينية، مما جعلها تدرس سلوك المرأة الطيبة منذ الطفولة. قامت زينب بالعلاقة الجنسية الممنوعة في شبابها وحملت قبل الزواج، مما جعل أباها ينوي قتلها بسبب الشرف. إذ إن تجارب حياة البطلة الزمنية لا تقع ضمن ترتيب حياة المرأة الفلسطينية العادية، قدّمت الكاتبة مرحلة حمل البطلة وحذفت مرحلة الزواج، لتبرز هذه القضية المتعلّقة بالتجربة الأنثوية الفلسطينية الخاصة.

الجزء الثاني "هذا الميراث": هذا الجزء رئيسي في الرواية وهو يركّز على الأحداث التي تحدث بعدما ترجع البطلة إلى فلسطين. نرى أن الأزمان القصصية في هذا الجزء هي منسوجة من الخيوط الثلاثة الرئيسية وهي حمل فتنة من خلال التلقيح الاصطناعي وزواج نهلة بالسمسار والعلاقة بين فيوليت ومازن. كما تحتوي الخيوط الفرعية مثل موت أبي زينب وتجربة مازن الماضية التعيسة في لبنان وتطبيق مشروع مصنع النضح وتطبيق مشروع المركز الحضاري ومغازلة البيك فيوليت إلخ. إذا وضعنا زمن عودة البطلة إلى وطنها الأصلي كالنقطة القطعية الوحيدة فكل هذه الأحداث قد تقع فيها تزامنياً عمودياً مجملاً، لكن إذا فصّلناها واحداً بعد واحد ستوزّع تعاقبياً أفقياً مفصلاً، كلها يستمرّ إثر الآخر مما يجعل حبكة الرواية متماسكة. وإذا فصلنا الأزمان في هذا الجزء فهي تحتوي الأزمان الصغيرة أي الأزمان الشخصية والأزمان الكبيرة أي الأزمان العصرية التي تسير فيها شخصيات الرواية. ففي الأزمان الشخصية تهتمّ الكاتبة

بتجارب المرأة الفلسطينية فتبدي قضايا المرأة الفلسطينية مثل حرمان البنت من الميراث ومكانة الزوجة الثانية. أما بالنسبة إلى الأزمان العصرية فهي أزمان فلسطين الخاصة بعد الاحتلال واتفاقية أوسلو مما تظهر القضايا الوطنية في فلسطين مثل اغتراب الفلسطينيين ووجود الاختلاف بين من هم في الخارج ومن هم في الداخل والحالة المتوترة بين إسرائيل وفلسطين إلى موت فتنة وعودة زينب إلى أمريكا أخيراً.

الجزء الثالث "ثم التركة": يركّز هذا الجزء على الاحتفالات لفتح المركز الحضاري في قلعة وادي ريحان التي تجعل الفوضى وكابوساً منها ولادة فتنة المفاجئة ومرور إنقاذها من القلعة إلى المستشفى. نرى أن اهتمام الكاتبة ليس بفوضى الاحتفالات بل بالزمن الذي يكون فيه مرور سيارة الإسعاف بين القلعة والمستشفى لإنقاذ فتنة وهي امرأة أنجبت طفلاً قبل قليل. لم تخصص الكاتبة صفحات كثيرة لهذا الجزء لكنه الجزء الأخير في الرواية، ويكون الزمن الأخير مهمّاً للقارئ أو للحبكة الروائية. وهذا الزمن الأخير ينتهي بزمن الشخصية الأخير أي موت فتنة بسبب حصار الشارع. والزمن الذي كانت تنزف فتنة دمها فيه هو الزمن الذي يتردّد الرجلان فيه أيضاً، واحد منهما يستمرّ بالكلام التافه والآخر لم يفعل شيئا إلا أن يصبر ويسمع ويخرج من السيارة للبول. قد وصفت الكاتبة هذا الزمن بسخرية: يبدو أن الزمن يتوقف بسبب وقوف سيارة الإسعاف في حصار الشارع لكنه يستمرّ ويمرّ بكلام السياسي (المحافظ) الفارغ وأفعال الفدائي (مازن) التافهة ودم المرأة الحقيرة (فتنة) التي تتبع معيار المجتمع البطريركي (عملت التلقيح الاصطناعي لحمل الطفل الذي يرث الميراث). لقد نزفت فتنة كل دمها وانتهى زمنها في الحياة، لكن زمن فلسطين ما زال مستمراً على أن الطريق محصور.

ب – المكان

الأمكنة الكبيرة: بروكلين وواشنطون ديسي بأمريكا ووادي ريحان ونابلس والقدس بفلسطين.

كانت بروكلين هي مكان مولد البطلة (زينب) لأن أباها الفلسطيني المغترب فيها يتزوّج بأمّ زينب الأمريكية لكنها تهرب منه بعد ولادة زينب. فبروكلين المكان الذي تنبت فيه البطلة حتى حملها في شبابها فتهرب إلى واشنطن ديسي طلبا لحماية جدتها، وبروكلين بالنسبة إلى زينب تبعث على الحنين مليئة بالذكريات مع أبيها الفلسطيني وخيالها حول حياة فلسطين العزيزة على الرغم من أنها المدينة الغربية. أما واشنطون ديسي فهي المكان الذي تعيش فيه مع جدتها منذ شبابها دون أبيها الفلسطيني، فهذه المدينة بالنسبة إلى زينب مدينة غربية تماماً، تعيش فيه لكنها تشتاق إلى حياتها في بروكلين مع أبيها الفلسطيني حتى تعود إليها مرة أخرى لكن أباها لم

يعد موجوداً كما تتغيّر المباني القديمة إلى مبان حديثة. فصورة بروكلين تتعلّق بفلسطين (أبو زينب) أما صورة واشنطن ديسي فتتعلّق بأمريكا (جدتها). نرى أن هاتين المدينتين متشابهتان في الموقع الجغرافي (كلاهما يقع في أميركا) لكن الفرق بينهما أن الأولى موضع حنين بالنسبة إلى البطلة أما الثانية فهي غريبة عليها، وسبب الفرق في موقف البطلة يتعلّق بأبيها الفلسطيني.

ووادي ريحان هي مدينة مولد أبي زينب وموته فيها، كما تحدث معظم الأحداث في هذه المدينة في الرواية. وهي المكان الأول الذي تأتيه البطلة عندما ترجع إلى فلسطين. لكنه يبدو غريبا عليها في البداية. أما نابلس فهي لا تتعلّق بالبطلة بل تتعلّق بالعلاقة بين الشخصية الأخرى (نهلة) وحبيبها (السمسار)، كانت تذهب إليها لمقابلة حبيبها مما يعرضها للخطف من أبناء السمسار. فنابلس بالنسبة إلى نهلة هي عزيزة ومخيفة معاً، تميل إليها من جهة وتشمئزّ منها من جهة أخرى. أما القدس فهي المكان الذي تعيش فيه فتنة، كانت هي المكان الخاص في فلسطين، تشع ضياء سواء في فلسطين أو في قلوب الفلسطينيين. وهي الرمز للسلام الذي يطلبه منه الفلسطيني.

نرى أن الكاتبة قد اختارت هذه الأماكن الكبيرة كمواقع لحياة الشخصيات في الرواية، تحدث الأحداث فيها وترمز بها إلى المعاني المختلفة خاصة بالنسبة إلى القضايا الوطنية التي يواجهها الفلسطينيون.

الأمكنة الصغيرة: غرفة ومصنع وقلعة

الغرفة هي المكان الذي يمثّل دوراً مهماً لتقديم حالة الشخصية النفسية، لأنها مكان شخصي خاص، إذا فتحت الشخصية باب غرفتها فإنها تفتح أفكارها الداخلية. وخاصة بالنسبة إلى الشخصيات الأنثوية المكبوتة لأن الغرفة هي المكان الذي تقضي فيه معظم أوقات الحياة. ففي الجزء الأول كانت زينب تختفي في السدّة أي الغرفة المليئة بالأغراض العتيقة بعدما اكتشفت حملها،لأنها كانت تجد فيها الدبّ الذي يُرسَل من جدتها، فتجد الاطمئنان كأنه رفيقها في الغرفة.[١] أما في الجزء الثاني فالغرفة هي المكان الذي تعبّر نهلة فيه عن مشاعرها غير الراضية بحياتها الماضية والحالية لزينب، لكن زينب لم تدخل غرفة نهلة بل تنظر إليها من الخارج، كأنها تريد أن تنسحب من البيت ونهلة حتى نفسها الذاتية.[٢]

وهناك المصنعان اللذان يظهران في الرواية، الأول هو المصنع الذي يخطّطه كمال لتعليب الزبالة، أما الثاني فهو المكان الذي يستعمله أبناء السمسار وفيه خطف نهلة. نرى أن

---

[١]- أنظر سحر خليفة (٢٠٠٧)، **الميراث**، ط٢، بيروت: دار الآداب، ص ٢١.
[٢]- أنظر المصدر السابق، ص ٦٦- ٧١.

المصنع الأول هو رمز للصناعة والتصنيع الحديث، لكنه فشل وأصبح سبب الفوضى الأصلي. والمصنع الثاني كان مصنعاً لصناعة صابون لكنه أصبح مكاناً للتقييد وتعذيب المخطوفين. أما القلعة فهي المكان الذي ترتاده زينب مع ابن عمها مازن كالمركز الحضاري، تقع في مكان عالٍ في وادي ريحان وهي رمز للحضارة القديمة لكنها أصبحت المكان الذي تقع فيه الفوضى والمأساة.

نرى أن الكاتبة قد اختارت هذه الأماكن الصغيرة رموزاً مختلفة، فالغرفة تشير إلى عالم المرأة النفسية الباطنة، أما المصنع والقلعة فهما يرمزان إلى فرصة الإصلاح لحالة فلسطين الحالية لكنهما يفشلان ليس لأي سبب خارجي بل بسبب داخلي وهو جهل الجماهير من داخل فلسطين.

جـــ – السرد

وظفت الكاتبة تقنية الاسترجاع في الجزء الأول من الرواية، يبدأ الزمن السردي من حياة البطلة في حين حصلت على رسالة عمّها في السطور الأولى ومن ثم ترجع إلى حياتها الماضية كذكريات لمدى ثماني فقرات لتعطي القارئ ذكريات البطلة (زينب) حول حياتها الماضية وهي الساردة الرئيسية في هذا الجزء، تسرد القصة بضمير المتكلّم كأن البطلة تحكي للقارئ حياتها مباشرة. نرى أن اختيار الكاتبة ضمير المتكلم للسرد هو لتقرّب للقارئ القصة كأنها ليست قصة خيالية بل تجربة البطلة الحقيقية[١].

أما في بداية الجزء الثاني فيرجع الزمن السردي إلى الزمن الذي حصلت منه على الرسالة ومن ثم تستمرّ البطلة في سرد القصة التالية بضمير المتكلّم حتى الفقرة الخامسة والعشرين، فقد غيّرت الكاتبة ضمير السارد من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب لتسرد قصة نهلة لأن زينب الساردة ليست موجودة معها في نابلس وهذه الحركات هي حركات نهلة السرية.[٢] نرى أن الكاتبة قد استعملت ضمير المتكلم عندما تكون زينب الساردة موجودة في الحدث، ونقلتها إلى ضمير الغائب عندما تكون غير موجودة. لكن نسبة استعمالها ضمير المتكلم قد تنحفض في هذا الجزء، لأن دور زينب الساردة ليس هو الدور الذي تهتم به الكاتبة في هذا الجزء بل تسرد الأحداث من خلال رؤيتها. فاستعمال ضمير الغائب قد يجعل القارئ يشعر بأن

---

[١]– أنظر: محمد أيوب (٢٠٠١)، **الزمن والسرد القصص في الرواية الفلسطينية المعاصرة**، ط١، دار سندباد للنشر والتوزيع، ص١٥٨.

[٢]– أنظر سحر خليفة (٢٠٠٧)، **الميراث**، ط٢، بيروت: دار الآداب، ص ٩٦– ١٠٤ وص ١٠٩– ١١٨.

موقفها موضوعي أكثر منه ذاتياً منحازاً. وهناك تيار الوعي في هذا الجزء مثل تجربة نهلة من قتل أخيها كإعادة المشهد القديم لتجربة زينب القديمة مما تجعلها تعود إلى ذكرياتها لمدة قليلة.[٣]

والسرد في الجزء الأخير هو السرد الأفقي تستعمل الكاتبة فيه ضمير المتكلم مع ضمير الغائب لتسرد الأحداث في حفلة المركز الحضاري وموت فتنة الأخير.

٢- القضايا الفنية في رواية أيلين جانغ "المرأة الممتعضة"

أ- الزمن

إن الزمن في هذه الرواية يجاري حياة البطلة (إين تي) الأنثوية الصينية التقليدية، فيمكن أن نقسمها إلى ثلاثة أجزاء وهي حياة إين تي قبل الزواج وحياتها بعد الزواج وعيشها مع ابنها وزوجته بعد تقاسم الميراث.

الزمن الذي تكون فيه إين تي قبل الزواج: لم تفرد الكاتبة صفحات كثيرة لهذا الجزء وحذفت مرحلة طفولتها، وتبدأ القصة من شبابها عندما كانت تعيش مع أخيها وزوجته. نرى أن هذا الزمن هو زمن المرأة الجوهري لكنه قصير جداً بالنسبة إلى إين تي على الرغم من أنها جميلة وفاتنة. كما أنه ليس المركز الرئيسي في الرواية بل يقدّم للقارئ حياة البطلة وحبّها الأصلي للشاب أمام الشارع. لكن هذه المسافة هي الانقسام الضخم الذي لا يمكن للبطلة تجاوزه طوال الحياة.

الزمن الذي تكون فيه إين تي بعد الزواج: وزعت الكاتبة هذا الجزء في صفحات كثيرة، فهو بداية سوء حظّ البطلة وتجاربها المخيفة في العائلة الصينية الكبيرة التقليدية وخاصة العلاقة القاسية التي تكون بينها وبين أمّ زوجها وبينها وبين زوجات إخوان زوجها أيضاً. يحتلّ هذا الزمن معظم أوقات حياة المرأة كما تهتمّ الكاتبة بوصفه فيحتلّ معظم صفحات الرواية لكي تقدّم للقارئ العلاقة الأنثوية المعقّدة وحالة البطلة النفسية المشوهة من تجاربها التعيسة.

الزمن الذي تعيش فيه إين تي مع ابنها الوحيد وزوجته بعد تقاسم الميراث: أي حياة إين تي الأخيرة. على الرغم من أن الكاتبة لا تهتمّ بوصف الزمن الخارجي أي الزمن العصري لكنها تقضي بعض السطور لوصفه مما يظهر الشعور الذي ينسجم مع زمن البطلة الأخير. فكان الزمن في الصين هو الزمن الفوضوي (نهاية سلالة تشينغ وبداية الصين الوطنية)، وتعيش الشخصيات الروائية في هذا العصر المتوتّر عيشة سلبية. واهتمت الكاتبة في هذا الجزء بالعلاقة القاسية بين الأمّ والكنّة، لكن البطلة لم تعد الكنّة المكبوتة بل أصبحت الأمّ الكابتة.

---

[٣]- أنظر المصدر السابق، ص ١٦٣- ١٦٤.

ب – المكان

المكان الكبير: شانغ هاي

معظم الخلفيات القصصية في أعمال أيلين جانغ تقع في هونغ كونغ أو شانغ هاي، وهاتان المدينتان هما المكان الخارج عن حكومة الصين ومحتلّ من الدول الأجنبية في ذاك الحين. أما الخلفية في هذه الرواية فهو شانغ هاي الذي تبرزه الكاتبة منذ بداية الرواية: "كانت تنام شانغ هاي مبكّرة، وخاصة في المدينة التي لم تملك المصباح بعد."[١] نرى أن شانغ هاي هي وحيدة مختلفة عن المدن الأخرى في الصين، فهي متأثرة بالحكومة الأجنبية لكن تبقى بعض العادات والتقاليد الصينية إلى حد ما. تضع الكاتبة الشخصيات في هذا المكان فتنعكس هذه الحالة على حياتهم اليومية. بعضهم ما زال محتفظاً بالعادات القديمة، وبعضهم الآخر يميل إلى الأنماط الأجنبية. أما بالنسبة إلى البطلة إين تي فهي تنتمي إلى النوع الأول، تعيش على غير اختيارها النفسي كأنها ضحية العصر لم تتغير طريقتها في الحياة بل تبقى في البيت كأنه عالمها الكلي. فلنقل تقع شانغ هاي في الصين كما تقع في قلب الكاتبة مما يجعلها تكتب القصص التي تحدث فيها وهي مكان مولدها الأصلي.

الأماكن الصغيرة: الغرف والمعبد

وقعت معظم الأحداث في الغرف في هذه الرواية وهي غرفة النوم لإين تي وزوجها المعاق الأعمى وغرفة نوم أمّ زوجها وغرفة البيت العتيق التي تدخّن الأفيون مع ابنها فيها. إن غرفة النوم لإين تي وزوجها ليست غرفتها الفردية بل المكان الذي يجب أن تشترك به مع زوجها. تأخذها كمكانٍ للتعبير عن حقدها المكبوت (كانت تكسّر مسبحة زوجها المحبوبة فيها) فتختار الغرفة مكاناً للانتحار شنقاً (بسبب خوفها من ظهور العلاقة السرية بينها وبين أخي زوجها). أما غرفة نوم أمّ زوجها فهي المكان المخيف المتعلق بصورة الأمّ المظلمة، وهي رمز لسلطة عائلة ياو الكبيرة ومعيارها التقليدي الثابت. كلما اقتربت منها خطوة ازداد الخوف أضعافاً، فلا يقترب أعضاء العائلة من هذا المكان بعد موت الأمّ.[٢] والغرفة للتدخين في البيت العتيق الذي تحصل عليه إين تي بعد تقاسم الميراث هو المكان الذي ينتمي إليها تماماً، تبقى فيه طوال اليوم، تدخّن الأفيون مع ابنها يوشي وتسمعه يحكي لها حياته الشخصية مع زوجته القبيحة. فهذه الغرفة تقدّم لإين تي الاطمئنان والرضا النفسي من خلال إبقاء ابنها معها واضطهادها لزوجته.

---

[١]– أيلين جانغ (١٩٨١)، **المرأة الممتعضة**، تايبيه: التاج للنشر، ص ٥.

[٢]– أنظر المصدر السابق، ص ٩٣– ٩٤.

أما المعبد فهو المكان الأبرز الذي يظهر في هذه الرواية، وهو المكان الوحيد الذي تذكره الكاتبة بعد زواج إين تي وحياتها في عائلة ياو كأنه المكان الأول الذي تصل إين تي إليه من خارج البيت. نرى أن المعبد هو رمز للمقدس لكنه أصبح المكان الذي أقامت إين تي منه علاقة سرية بينها وبين شقيق زوجها على الرغم من وجود طفلها إلى جانبها. نرى أن الكاتبة قد اختارت هذا المكان المقدس لتقديم التغاير القوي بين الرمز السماوي و السلوك الإنساني وبين الحرمة ورغبة المرأة المكبوتة، مما تقوّي صورة البطلة غير المكتفية وخاصة رغبتها الجنسية.

جـــ – السرد

أخذت الكاتبة بالطريقة السردية الأفقية، تحدث كل الأحداث وفقا لحياة البطلة إين تي. لكن السرد يرجع في نهاية الرواية إلى المشهد الماضي بصوت المنادي "يا صبية! يا صبية!"[١] كأنه يوقظ ذكرياتها الحيوية في قلبها حول شبابها الماضي، ويبدو أنها النقطة الأخيرة التي ترجع إلى النقطة الأولى مما يتمّ الحلقة الروائية. والبطلة إين تي ما تزال تقع في مركز الحلقة ومقيدة بها. أما الضمير السردي الذي تختاره الكاتبة فهو ضمير الغائب أي السارد العليم، لم يقدّم للقارئ أي تعليق بل يسرد القصة فقط.

ونرى أن الكاتبة لم تعط اهتمامها بالمسرود له الذكر بل تهتمّ بالمسرود له الأنثى، مما يعطي فرصة أكبر، لترفع الشخصيات الأنثويات أصواتهنّ، وخاصة صوت البطلة إين تي من خلال كلامها مع الآخرين والأصوات التي تقع في قلبها الباطن. تستعمل الكاتبة حقها السردي لتصوّت الشخصيات الأنثويات من جديد، فالمرأة لم تعد تمثل الجماهير الصامتة، بل على العكس فإن الذكور قد أصبحوا الصامتين يفقدون حقوقهم بالكلام. لكن من الجدير بالذكر أن الكاتبة لم تعط زوجة ابن البطلة حقها في الكلام أيضاً، كأن هذه الحالة هي إعادة حالة اضطهاد الأنثى للذكر لأن دور إين تي في هذا الجزء قد أصبح الأمّ المضطهدة المتشابهة لأمّ زوجها الميتة، ودورها يتغيّر إلى البديل من الذكر الغائب (زوجها الميت) في العائلة.

ونرى الكاتبة قد اختارت كثيراً طريقة السرد غير المباشرة مثل الحوار الذاتي وتيار الوعي. وهناك معظم الأصوات التي تظهر في الرواية مثل حوار إين تي الذاتي الذي يقدّم للقارئ عالم قلبها الداخلي. وخصوصيات الكاتبة للسرد تكون في أساليب وصفها للأشياء الصغيرة التي تتضمّن المعاني الكامنة. مثل الوردة المجففة التي تعود حيوية بعد نقعها في الخمر

---

[١]– أنظر أيلين جانغ (١٩٨١)، **المرأة الممتعضة**، تايبيه: التاج للنشر، ص ١٨٩.

كأنها رمز لحبّها الماضي: "تزدهر الوردة الميتة كأنها فأل لكنها فأل سيء."[٢] كما تصف مظاهر الشخصيات بتفاصيل من الوجه إلى الملابس حتى الحذاء.

كما يرى أسامة شهاب أن المراة تستطيع التعبير عن همومها ومشاكلها التي تعانيها أصدق مما يعبّر الرجل عنها ولا يمكن إنكاره أن للمرأة وضعها الخاص وأنها ذات طبيعة سيكولوجية خاصة لا يمكن أن تتطابق مع البنية النفسية للرجل[١]، لقد ظهر التشابه في القضايا الفنية بين الروايتين، إذ يبدو في الأزمان التي تبرز فيها حياة المرأة الخاصة، والأماكن التي تعبّر فيها المرأة عن مشاعرها المكبوتة، وحق السرد للشخصيات الأنثوية. لقد وظفت الكاتبتان هذه الطرق لارتباط الحبكة الروائية بتغيّر الأزمان والأماكن وأصوات الشخصيات السردية لتقدّما للقارئ اتجاهاتهما نسوية ما بعد الكولونيالية.

---

[٢]- أنظر المصدر السابق، ص ١٢٨- ١٢٩.

[١]- أنظر: أسامة شهاب (٢٠٠٠)، **الحركة الشعرية النسوية فـــي فلـــسطين والأردن ١٩٤٨- ١٩٨٨**، ط١، عمان: وزارة الثقافة، ص

الخاتمة

يمكن أن نجمل أهمّ النتائج التي تمّ التوصّل إليها في هذه الدراسة فيما يأتي:

كلتا الكاتبتين سحر خليفة وأيلين جانغ قد عاشت التجارب التعيسة في حياتهما مع الذكور، وكلتاهما عانت من أبيها وفشلت في زواجهما أيضاً، مما يقوّي وعيهما بهويتهما الشخصية. فبدأت كل واحدة بالكتابة كأنها صرخة إيجابية، تأخذها وسيلة لتحرّر شعورهما المكبوت في قلبهما الباطن.

عاصرتا العصر الفوضوي من خلال تجربتهما في الحياة في ظل الاحتلال الأجنبي. لكنهما لم تضعا الحلّ في إدانة العدوان الأجنبي فقط بل ترجعان إلى بلديهما أيضاً، تفكّران في البلد نفسه تفكيرا أعمق وأدقّ. وتبيّنان أسباب الفساد من داخل الوطن من خلال وصفهما الشخصيات البسيطة في المجتمع. فالضعف التراكمي للشعوب دون محاولة للإصلاح والركون للمماطلة المستمرّة هما أصل الكارثة الحقيقي.

أما بالنسبة إلى عملهما الإبداعي فقد أخذت كلتاهما طريقة للكتابة الروائية للتعبير عن أفكارهما النسوية في مرحلة ما بعد الكولونيالية سواء في المضمون أو في الشكل. تهتمّان بوصف الشخصيات الأنثوية، وتعطيانها الحقّ للكلام الرئيسي، وتقمعان الشخصيات الذكرية، تعطيانها صورة المعاق والتقلّب إما في الجسد وإما في القلب والنفس. كما تتناولان التجارب الأنثوية الخاصة مواضيع محورية للكتابة، وتبرزان إجراءاتها للبحث عن الذات من خلال الأحداث المسلسلة. وبدا المكان المغلق رمزاً لقيود المعيار الذكوري الثابت الذي يقمع الأنثى.

أما الاختلاف بين الكاتبتين فكان في ترتيبهما لوصف العلاقة بين شخصية أنثوية وشخصية أنثوية أخرى؛ فقد قدّمت سحر خليفة في روايتها "الميراث" العلاقة بين الشخصيات الأنثوية علاقة انسجامية أكثر إلى حد كبير من العلاقات الأنثوية في رواية أيلين جانغ "المرأة الممتعضة". تفهم الشخصيات الأنثوية بعضها بعضاً وتشعر بالتعاطف مع الأنثى الأخرى في الرواية "الميراث". بخلاف ما قدمته أيلين جانغ في روايتها "المرأة الممتعضة" من العلاقة الضدية بين الشخصيات الأنثوية، لكن هذه العلاقة الضدية ليست ناجمة من ذات المرأة الفرد المستقل بل تنتمي إلى القيم الاجتماعية والنظرات العائلية التي تعيش فيها. فالشخصية الأنثوية المضطهدة هي بديل من حكم الذكر الغائب في الحقيقة، كلتا المضطهدَة والمضطهدة ضحية لقيم المجتمع البطريركي التقليدي الصيني.

على كل حال، كلتا الكاتبتين امرأة في العالم الثالث، جسدهما مدموغ بالعنصر والجنس من البداية. لكنهما قد اختارتا الكتابة الروائية وسيلة للبحث عن هويتهما الذاتية وردّ القمع المزدوج (الوطني والجنسي) الذي تعانيان منه، تمارسان المقاومة الإيجابية تجاه الحالة المضطهَدة.

المصادر والمراجع

١. المصادر

أ. المصادر العربية:

- سحر خليفة (١٩٨٦)، مذكرات امرأة غير واقعية، ط١، بيروت: دار الآداب.
- سحر خليفة (١٩٨٨)، قصتي: سرد ذاتي، ضمن نسرين محمد عطا الشنابلة (١٩٩٣)، روايات سحر خليفة، بإشراف عبد الرحمن ياغي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية.
- سحر خليفة (١٩٩٩)، الصبّار، ط٢، بيروت: دار الآداب.
- سحر خليفة (١٩٩٩)، لم نعد جواري لكم، ط٢، بيروت: دار الآداب.
- سحر خليفة (٢٠٠٧)، الميراث، ط٢، بيروت: دار الآداب.

ب. المصادر الصينية:

- 張愛玲，**怨女**，台北：皇冠出版社，一九八一年。

أي: أيلين جانغ (١٩٨١)، **المرأة الممتعضة**، تايبيه: التاج للنشر.

- 張愛玲，**流言**，台北：皇冠出版社，一九九一年。

أي: أيلين جانغ (١٩٩١)، **النميمة**، تايبيه: التاج للنشر.

- 張愛玲，**張看**，台北：皇冠出版社，一九九一年。

أي: أيلين جانغ (١٩٩١)، **جانغ كان**، تايبيه: التاج للنشر.

- 張愛玲，**餘韻**，台北：皇冠出版社，一九九三年。

أي: أيلين جانغ (١٩٩٣)، **اللحن الباقي**، تايبيه: التاج للنشر.

٢. المراجع

أ. المراجع العربية:

- إبراهيم خليل (٢٠٠٧)، في الرواية النسوية العربية، ط١، عمان: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.
- أحمد الظاهر، المرأة العربية (مع دراسة ميدانية للمرأة في الأردن)، إربد: دار الكندي للنشر والتوزيع.
- إدوارد سعيد (١٩٨١)، كمال أبو ديب مترجم، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الانشاء، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
- أروى عبيدات (١٩٩٥)، صورة المرأة في الرواية الأردنية ١٩٤٨- ١٩٨٥، ط١، عمان: وزارة الثقافة.
- أسامة شهاب (٢٠٠٤)، القصة النسوية المعاصرة في الأردن وفلسطين ١٩٤٨-١٩٨٨، ط١، عمان: وزارة الثقافة، الهيئة الاستشارية للنشر.
- أسامة شهاب (٢٠٠٠)، الحركة الشعرية النسوية في فلسطين والأردن ١٩٤٨- ١٩٨٨، ط١، عمان: وزارة الثقافة.
- حسن نجمي (٢٠٠٠)، شعرية الفضاء السردي، ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- حسين شريف (٢٠٠٣)، فلسطين من فجر التاريخ إلى انتفاضة الأقصى وتوابعها، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- سارة جامبل (٢٠٠٢)، أحمد الشامي مترجم، النسوية وما بعد النسوية، ط١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- سلمى الخضراء الجيوسي محرر (١٩٩٧)، زهير أبو شايب مترجم، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، بيروت: المؤسسة العربية.
- شرين أبو النجا (١٩٩٨)، عاطفة الاختلاف: قراءة في كتابات نسوية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- شمس الدين موسى (١٩٩٧)، تأملات في إبداعات الكاتبة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عفيف فراج (١٩٨٠)، الحرية في أدب المرأة، ط٢، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
- علياء أرصغلي (٢٠٠٣)، دراسات وتقارير حول وضعية المرأة الفلسطينية، ط١، رام الله: مفتاح.
- الكسندر كودانشنكو، شبيب بيضون مترجم (١٩٧٩)، استراتيجية الغرب الاستعمارية الجديدة، بيروت: دار الفارابي.

- ليندا عبيد (٢٠٠٧)، تمثيلات الأب في الرواية النسوية العربية المعاصرة، ط١، عمـــان: دار فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة.
- مجدي وهبه وكامل المهندس (١٩٨٤)، معجم المصطلحات العربية في اللغـــة والأدب، ط٢، بيروت: مكتبة لبنان.
- المجلس الوطني الفلسطيني (١٩٧٠)، نضال المرأة الفلسطينية، بيروت.
- محمد أيوب (٢٠٠١)، الزمن والسرد القصص في الرواية الفلسطينية المعاصـــرة، ط١، دار سندباد للنشر والتوزيع.
- نازك الأعرجي (١٩٩٧)، صوت الأنثى: دراسات في الكتابة النسوية العربية، ط١، دمـــشق: الأهالي.
- نازك سابا يارد (٢٠٠١)، النساء العربيات في العشرينات: حضوراً وهوية، بيروت: مركـــز توفيق طبارة الاجتماعي.
- نبيه القاسم (٢٠٠١)، مراودة النص: دراسات في الأدب الفلسطيني.
- نزيه أبو نضال (٢٠٠٤)، تمرّد الأنثى في رواية المرأة العربية وببلوغرافيا الرواية النـــسوية العربية (١٨٨٥-٢٠٠٤)،ط١، عمان: دار الفارس.
- نيكول فرمون، عدنان حسن مترجم (٢٠٠٤)، ثنائية الكينونة: النسوية والاختلاف الجنـــسي، ط١، اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية.
- هشام شرابي (١٩٨٧)، البنية البطريكية بحث في المجتمع العربي المعاصر، ط١، بيـــروت: دار الطليعة.
- هشام شرابي (١٩٩٢)، النظام الأبوي واشكالية تخلف المجتمع العربي، ط١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- هشام شرابي (١٩٩٠)، النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهايـــة القـــرن العـــشرين، ط١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

ب. المراجع الإنجليزية:

- Alice Walker (1992), **The Color Purple**, Harcourt, Inc., 1st ed., USA
- Barbara Smith, "**Toward a Black Feminist Criticism**", in Showalter ed.(1985), **The New Feminist Criticism**, New York: Pantheon Books.

- Bart Moore-Gilbert (1997), Gareth Stanton and Willy Maley, **Postcolonial Criticism**, London and New York: Longman.
- Bell Hooks (1989), **Talking Back: Thinking Feminist, Thinking Black**, Boston: South End Press.
- Bell Hooks (1990), **Yearning: Race, Gender, and Cultural Politics**, Boston: South End Press.
- Bell Hooks (1994), **Outlaw Culture: Resisting Representations**, New York and London: Routledge.
- Bell Hooks (2000), **Feminist Theory: From Margin to Center**, 2nd ed., Cambridge: South End Press.
- Elaine Showalter (1977), **A Literature of Their Own**, Princeton: Princeton University Pres.
- Elaine Showalter (1985), **Feminist Criticism in the Wilderness**, in **The New Feminist Criticism: Essays on Women, Literature and Theory**, New York: Pantheon Books.
- Gayatri Spivak (1987), **In Other Worlds, Essays in Cultural Politics**, New York and London: Methuen, Inc.
- Gayatri Spivak (1990), **The Post-colonial Critic**, New York: Routledge.
- Henderson Gwendolyn, "Speaking in Tongue", Winston Napier ed. (2000), **African American Literature Theory: A Reader**, New York.
- Henry Louise Gates, Jr. (1988), **The Signifying Monkey: A Theory of African-American Literary Criticism**, New York and Oxford: Oxford University Press.
- Homi K Bhabha (1994), **The Location of Culture**, New York and London: Routledge.
- Joanne M Braxton (1989), **Black Women Writing Autobiography, A Tradition Within a Tradition**, Philadelphia: Temple University Press.

- Julia Kristeva (1995), "**Women's Time**", **New Maladies of the Soul**, New York: Columbia University Press.
- Kumari Jayawardena (1994), **Feminism and Nationalism in the Third World**, Fifth impression, London: Zed Books.
- Magida Salman (1987), **Women in the Middle East**, London and New Jersey: Zed Books.
- Marion Kraft (1995), **The African Continuum and Contemporary African American Women Writers**, New York.
- M.M.Bakhtin (1984), **Problems of Dostoevsky's Poetics (Theory and History of Literature)**, London: University of Minnesota Press.
- Robert J.C.Young (2001), **Postcolonialism: an historical introduction**, Oxford and Malden, Mass: Blackwell Publishers:.
- Susan Sniader Lanser (1992), **Women Writers and Narrative Voice**, Ithaca and London: Cornell University Press.

ج. المراجع الصينية:

- 張品興編，**梁啓超全集**，北京出版社，一九九九年。

Chang ping shin ed. (1999), **The Complete Works of Liang chi chao**, Beijing Press.

- 張子靜，**我的姊姊張愛玲**，台北：印刻出版社，二零零五年。

Chang zi jin (2005), My Sister Eileen Chang, Taipei: Ink Press.

- 程頤、程顥，**二程遺書**，上海古籍出版社，二零零零年。

Chen yi and Chen haw (2000), **The Writings of Two Chen**, Shanghai Ancient Books Press, vol.22.

- 中華全國婦女聯合會婦女運動歷史研究室編，**五四時期婦女問題文選**，北京：三聯，一九八一年。

Chinese Women Union ed. (1981), **Essays about Chinese Women during the May 4th Movement**, Beijing: Sanlien Press.

- 中國近代史教學研討會編，**中國近代史**，臺北，幼獅書店，一九六七年。

The Council of Teaching Modern Chinese History ed. (1967), **Modern Chinese History**, Taipei: Yo shi.

- 胡蘭成，**今生今世**，北京：中國社會科學出版社，二零零三年。

Hu lan cheng (2003), **This Life**, Beijing: Chinese Sociology Press.

- 李又寧、張玉法編，**中國婦女史論文集**，台北：商務，一九八一年。

Lee yo ning and Chang yu fa ed. (1981), **Theses in the History of Chinese Women**, Taipei: Shan wu Press.

- 林幸謙，**張愛玲論述──女性主體與去勢模擬書寫**，台北：紅葉文化，二零零零年。

Ling Xin-chieng (2000), **Discourse about Eileen Chang -- woman herself and emasculation writings**, Taipei: Red leaves.

- 劉巨才，**中國近代婦女運動史**，北京：中國婦女出版社，一九八九年。

Liu ju tsai (1989), **The History of Modern Chinese Women's Movement**, Beijing: Chinese Women Press.

- **中華民國訓政時期約法**，民國二十年六月一日公佈。

Provisional Constitution of the Republic of China During the Period of Shuncheng (1931/6/1).

- 沈雲龍，**近代中國史料叢刊**，台北：文海出版，一九六二年。

Shen yun lon ed. (1962), **Monographs of Modern Chinese History**, Taipei: Wen hai published.

- 湯志鈞編，**康有爲政論集上**，北京：中華書局，一九八一年。

Tang zi jun ed. (1981), **Kang yo wei's Political Discourses vol.1**, Beijing: Jon hwa published.

- 楊澤，**閱讀張愛玲**，台北：麥田出版，一九九九年。

Yang zie (1999), **Readings about Eileen Chang**, Taipei: Mai-tiang.

د. الرسائل الجامعية العربية:

- رفقة محمد عبد الله دودين (٢٠٠٤)، **التقنيات السردية في الرواية النسوية العربية المعاصرة وجمالياتها**، بإشراف علي عباس علوان، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة.
- نبيلة فايز السيوف (٢٠٠٢)، **قضايا المرأة بين الصمت والكلام في الرواية النسوية العربية**، بإشراف سمير قطامي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية.

- نسرين محمد عطا الشنابلة (١٩٩٣)، **روايات سحر خليفة**، بإشراف عبد الرحمن ياغي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية.
- وائل علي الصمادي (٢٠٠٦)، **صورة المرأة في روايات سحر خليفة**، بإشراف شكري عزيز الماضي، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت.

هـ. الرسائل الجامعية الإنجليزية:

- Nancy A.Coffin (1998), **Representations of Realities: The Palestinian Resistance Narrative 1967-1980**, Dissertation for Doctor Degree of Philosophy in the Graduate School of Arts and Sciences, Columbia University, U.S.A.
- Eman H.AlQallaf (2000), **Shahrazade's Triumph: A Cross-Cultural Study of Late Twentieth-Century Novels by Women of Color**, Dissertation for Doctor Degree of Philosophy, Arizona State University, U.S.A.

و. الرسائل الجامعية الصينية:

- 羅涵云，**後現代女性主義的政治觀—以張愛玲作品爲例**，台灣師範大學政治學研究所碩士論文，二零零六年。

Lwo han yun (2006), **Political Views of Post-Modern Feminism- Eileen Chang's novels for example**, Dissertation for Master Degree in the Department of Politcs, National Taiwan Normal University, Taipei.

ز. الدوريات العربية:

- إبراهيم خليل (١٩٧٤)، **لم نعد جواري لكم**، مجلة أفكار، عدد٢٣، حزيران.
- أمينة العدوان (١٩٧٤)، **لم نعد جواري لكم**، مجلة أفكار، عدد٢٣، حزيران.
- ناهض حتر (١٩٩٢)، **سحر خليفة: أكتب عن الهنا والآن ومن داخلها**، حوار، مجلة الأفق.

ح. الدوريات الإنجليزية:

- Amal Amireh (August 1996), **Publishing in the West: Problems and Prospects for Arab Women Writers**, Al Jadid,Vol. 2, No. 10
- Chris Kutschera (1997), **One Step Forward**, The Middle East, Sep. 1997.
- Sahar Khalifeh (Spring 2002), **My Life, Myself, and the World**, Al Jadid, Vol. 8, No. 39.

ط. الدوريات الصينية:

- 王景玄，**經元善與經正女學堂**，經濟與法期刊，第十三卷第六期，廣東，二零零九年。

Wang jin shuan, "**Jin Yuan Shan and Jin Cheng Females School**", Economics and Law, vol.13, no.6 (2009), Kuang dong.

Sahar Khalifa's novel "The Inheritance" and Eileen Chang's novel "The Rouge of the North" - A comparative and analytical study in the light of postcolonial feministic criticism

By

Huang, Yueh-Chih

Supervisor

Dr. Ibrahim Al-Saafin

Abstract

This thesis focuses on the two novels: "The Inheritance" which was written by Sahar Khalifa and "The Rouge of the North" which was written by Eileen Chang. Both of the two writers are outstanding to express their feministic thoughts by concentrating on the issues about women through their creative writings. For this sake, the researcher tried to observe the two writers' distinctive feministic tendencies by a comparative and analytical study in the light of postcolonial feministic criticism.

The thesis is divided into a preface, three chapters, and a conclusion. The preface introduces feminist movements and the main kinds of feministic criticism which helps out to clear the theories of feminism in general. The first chapter deals with the main issues of postcolonial feminism. The Second chapter deals with the two writers' life and the political backgrounds of their countries which influenced the developing of their feministic thoughts. And the third chapter deals with the two writers' tendencies toward postcolonial feminism by analysing womens' issues, the female images and also the techniques which they used within the two novels.

The conclusion shows the most important results of this thesis which assure the two writers' postcolonial feministic thoughts: both of them took the positive position to rebel against the persecutions which the Third World women confront, by means of writing novels.